المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية اللغة العربية

مذكّرة

المعاجم العربيّة

د. ماجد بن حسني الحارثي

١٤٣٩هـ

يطلب من خدمة الطالب

"تعلمت الحروف المعجمة"، فقد صح بما ذكرنا أن المعجم ليس وصفًا لحروف.

والصواب في ذلك عندنا -والكلام لابن جني-: ما ذهب إليه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد -رحمه الله تعالى- من أن المعجم مصدر بمنزلة الإعجام كما تقول: أدخلته مُدخلًا، وأخرجته مُخرجًا؛ أي: إدخالًا، وإخراجًا.

وحكى أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش أن بعضهم قرأ: "ومن يهن الله فما له من مُكرَم" بفتح الراء؛ أي: من إكرام. فكأنهم قالوا: هذه حروف الإعجام، فهذا أسدّ وأصوب من أن يُذهب إلى أن قولهم: "حروف المعجَم" بمنزلة قولهم: "صلاة الأولى" و"مسجد الجامع"؛ لأن معنى ذلك: صلاة الساعة الأولى أو الفريضة الأولى، ومسجد اليوم الجامع، فالأولى غير الصلاة في المعنى، والجامع غير المسجد في المعنى أيضًا، وإنما هما صفتان حذف موصوفاهما، وأقيمتا مقامهما، وليس كذلك حروف المعجم؛ لأنه ليس معناه: حروف الكلام المعجم، ولا حروف اللفظ المعجم، وإنما المعنى: أن الحروف هي المعجمة، فصار قولنا: "حروف المعجم" من باب إضافة المفعول إلى المصدر، كقولهم: هذه مطيّة ركوب؛ أي: من شأنها أن تركب، وهذا سهم نضال؛ أي: من شأنه أن يناضل به، وكذلك حروف المعجم أي: من شأنها أن تعجم؛ فاعرف ذلك".

انتهى كلام ابن جني.

ونخلص من كل هذا إلى: أن الإعجام يدل على التوضيح والتبيين للدلالة التي يمكن أن نسمّيها: الدلالة الصرفية أو دلالة الصيغة، وهي تختلف عن دلالة المادة التي ارتبطت بالخفاء والإبهام، وأنه يمكن اشتقاق لفظ المعجم بهذا المعنى من ذلك المصدر، فيكون معناه: الموضّح، أو المبين، أو الذي حدث فيه التوضيح والتبيين، بعد أن كان ذا خفاء وإبهام، كما تشير إليه المادة الأصلية.

لها ما تشكوه. ونظيره أيضًا: أشكلت الكتاب؛ أي: أزلت عنه إشكاله، وقد قالوا أيضًا: عجّمت الكتاب فجاءت "فعلت" بالسلب أيضًا كما جاءت "أفعلت".

وقد ذكروا في هذا المقام حروف المعجم، واختلفوا في تعليل هذا التركيب، ومعناه كما يقول ابن فارس: "قال الخليل: حروف المعجم هي الحروف المقطعة لأنها أعجمية". ثم يقول: "وأظن الخليل أراد بالأعجمية أنها لا تدل على شيء".

والذي عندنا في ذلك أنه أريد بحروف المعجم هي حروف الخط المعجمي، وهو الخط العربي؛ لأنا لا نعلم خطًّا من الخطوط يعجم هذا الإعجام حتى يدل على المعاني الكثيرة، ومعنى هذا أن كلمة المعجم هنا صفة المحذوف هو "الخط"، وأنها اسم مفعول من "أعجم"، ويكون المعنى كما ذهب إليه ابن فارس: حروف الخط الذي حدث به الإعجام.

* وهذا الرأي لا يروق ولا يعجب ابن جني، فقد أنكر أن يكون المعجم صفة لحروف من وجهين:

أحدهما: أن "حروفًا" هذه لو كانت غير مضافة إلى المعجم لكانت نكرة، والمعجم كما ترى معرفة، ومحال وصف النكرة بالمعرفة.

والآخر: أن الحروف مضافة إلى المعجم، ومحال أيضًا إضافة الموصوف إلى صفته؛ والعلة في امتناع ذلك أن الصفة هي الموصوف على قول النحويين في المعنى، وإضافة الشيء إلى نفسه غير جائزة.

ثم بعد أن استطرد ابن جني ذاكرًا أمثلة أخرى لتوضيح ما قال، انتهى قائلًا:

"فكذلك لو كان المعجم صفة لـ"حروف"؛ لما جازت إضافتها إليه. وأيضًا فلو كان المعجم صفة لـ"حروف"؛ لقلت: المعجمة؛ يعني: الحروف المعجمة. كما تقول:

"فإن قائل فيما بعد: إن جميع ما قدمته يدل على أن تصريف "ع ج م" في كلامهم موضوع للإبهام وخلاف الإيضاح، وأنت إذا قلت: "أعجمت الكتاب" فإنما معناه: أوضحته وبينته، فقد ترى هذا الفصل مخالفًا لجميع ما ذكرته، فمن أين لك الجمع بينه وبين ما قدمته؟

فالجواب أن قولهم: "أعجمت" وزنه: أفعلت، و"أفعلت" هذه وإن كانت في غالب أمرها إنما تأتي للإثبات والإيجاب؛ نحو: أكرمت زيدًا أي: أوجبت له الكرامة، وأحسنت إليه: أثبت الإحسان إليه، وكذلك أعطيته وأدنيته وأسعدته وأنقذته، فقد أوجبت جميع هذه الأشياء له، فقد تأتي "أفعلت" أيضًا يراد بها السلب والنفي، وذلك نحو: أشكيت زيدًا: إذا زلتَ له عما يشكوه، أنشدنا أبو علي قال: أنشدنا أبو زيد:

تمد بالأعناق أو تلويها ❖ وتشتكي لو أننا نشكيها

أي: لو أننا نزول لها عما تشكوه".

والراجز هنا يصف إبلًا قد أتعبها السير فهي تلوي أعناقها تارة وتمدها أخرى، وتشتكي إلينا فلا ننزع لها عن شكايتها. ومعنى شكواها: ما غلبها من سوء الحال والهزال، وهذا يقوم مقام كلامها.

يقول ابن جني: "ومثله قوله -عز اسمه-: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] تأويله -والله أعلم- عند أهل النظر: "أكاد أظهرها". وتلخيص حال هذه اللفظة أي: أكاد أزيل عنها خفاءها، وخفاء كل شيء غطاؤه".

ثم يقول ابن جني: "فكذلك أيضًا يكون قولنا: أعجمت الكتاب؛ أي: أزلت عنه استعجامه". كما كان أخفيها: أزيل خفاءها أو خفاءها. ونشكيها بمنزلة: ندع

ومعنى استعجمت الدار؛ أي: سكتت؛ ولذلك عداه بـ"عن"، والمراد أن هذه الدار لم تجب السائل عما يسأل، وذهبت آثارها التي تدل على أصحابها.

والذي جاء في المعاجم لا يكاد يخرج عما ذكره ابن جني، فقد ذكر ابن فارس في (مقاييس اللغة) في مادة "ع ج م": أن للعين والجيم والميم ثلاثة أصول أحدها يدل على سكوت وصمت، ومثل له بالرجل الذي لا يفصح، ومثل له أيضًا بالمرأة العجماء بينة العجمة، ومثل له أيضًا بالصبي الأعجم الذي لا يتكلم ولا يفصح.

وقد ذكر الجوهري في (مختار الصحاح) أن الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، وإن كان من العرب، فالإعجام غير الإعراب في (الصحاح) و(اللسان) ولذلك ذكروا قول رؤبة:

الشعر صعب وطويل سلمه ❖ إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه ❖ والشعر لا يسطيعه من يظلمه
يريد أن يعربه فيعجمه ❖ ....

ومعنى الإعجام هنا: أنه يحاول تبيانه وتوضيحه ولكنه يخفق في ذلك، أو أنه يأتي به ملحونًا شأنه في ذلك شأن العجم، أو أنه يريد أن يبين عنه فلا يقدر على ذلك؛ فيأتي به غير فصيح.

وحينما يضاف إلى ذلك المعنى السابق، معنى الإفصاح والإبانة وإزالة الإبهام والخفاء على نحو ما يقول ابن فارس: "وكتاب معجم وتعجيمه تنقيطه حتى تستبين عجمته" فإن القضية تحتاج في هذه الحالة إلى تعليل وتوضيح، وقد تولى ذلك ابن جني من قبل فقال في كتابه (سر صناعة الإعراب) أيضًا:

أحدهما: أنه قيل: عجمت؛ لأنك لما أدخلته فاك لتعضّه، فقد أخفيته في فيك.

والآخر: أنك قد ضغطت بعَض أجزائه بالعجم، فأدخلت بعضها في بعض، فأخفيتها، وربما سمّت العرب الأخرس أعجمَ من هذا. فأما قول ذي الرمة:

حتى إذا جعلته بين أظهرها ❖ من عجمة الرمل أنقاء لها حبب

فالعجمة: معظم الرمل وأشده تراكمًا؛ سُمي بذلك لتداخله واستبهام أمره على سالكه".

والأنقاء: جمع نقن، وهو الرمل المحدودب المنقات.

والحبب: جمع حبة، ومعناها: الطريقة في الرمل.

والهاء في قوله: "جعلته" ضمير راجع إلى الثور الوحشي.

المعنى الإجمالي للبيت: حتى إذا صار الثور وسط الرمال أدركه الليل، وضم الظلام عليه حُلّته والمقصود أن الليل ستره، كما يفهم من البيت بعده -الذي أضافه أو أشار إليه محققو (سر صناعة الإعراب) وهم مصطفى السقا وآخرون- وهو:

ضم الظلام على الوحشي شملته ❖ ورائح من نشاص الدلو منسكب

ويتابع ابن جني كلامه قائلًا:

ومنه قولهم: استعجمت الدار إذا صمّتْ، فلم تجب سائلها، قال امرؤ القيس:

صم صداها وعفا رسمها ❖ واستعجمت عن منطق السائل

والصمم -كما هو معروف-: انسداد الأذن، وثقل السمع، والفعل منه صم، والصدى: ما يرجع عليك من صوت الجبل، وإسناد الصمم إلى الصدى في البيت؛ لتخيل أن الصدى يسمع المتكلم فيجيب، فإذا لم يجب فكأن به صممًا،

المعاجم

معنى كلمة "المعجم" لغة واصطلاحًا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فالمعجم: واحد المعاجم، والأصل أن يُجمع المعجم على معجمات، ويتمسَّك بعض العلماء بهذا، لكنّ المجمع اللغوي أجاز الجمعين، فيقال في جمع المعجم: معجمات، ومعاجم. ينظر في هذا (المعجم الوسيط): "عَ - جَ - مَ".

والمعجم: اسم مفعول من أعجمت الكتاب؛ أي: أزلت إبهامه وخفاءه. ويرجع هذا اللفظ إلى مادة "ع - ج - م"، التي يقول عنها ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب):

"اعلم أن "ع ج م" إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء، وضد البيان والإفصاح، من ذلك قولهم: رجل أعجم، وامرأة عجماء: إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما. وكذلك العُجم والعَجم، ومن ذلك قولهم: عَجَم الزبيب وغيره -وعَجَم الزبيب: حَبُّه الذي في جوفه- إنما سمي عجمًا لاستتاره وخفائه بما هو عجم له. ومن ذلك قوله # : ((جرح العجماء جُبار)) -معنى ((جُبار)) أي: هدر. معناه كما قال الأزهري: أن البهيمة العجماء تنفلتُ فتتلف شيئًا فهو هدر- يراد به -كما قال ابن جني-: البهيمة -يراد بالعجماء البهيمة- لأنها لا توضح عما في نفسها. ومن ذلك تسميتهم صلاتَي الظهر والعصر: العجماوين؛ لما كانتا لا يُفصح فيهما بالقراءة. قال أبو علي: ومن ذلك قولهم: عجمت العود، ونحوه، إذا عضضته. قال: وهو يحتمل أمرين، كل واحد منهما راجع إلى ما قدمناه:

التمهيد

تعريف المعاجم اللغوية :

لغة هي : جمع معجم، وهو مشتق من عَجَمَ، ولهذه الكلمة عدة معانٍ متضادة أقربها : قولهم : أعجمتُ الكتاب إذا بينته وأوضحته[1].

وأصطلاحاً : كتاب يضم عدداً كبيراً من المفردات اللّغوية مقرونة بشرحها، وتكون مواده مرتبة ترتيباً خاصاً بحسب طريقة كل مؤلف[2].

أسباب تأليف المعاجم وفوائدها :

١- العناية بفهم آيات القرآن الكريم؛ حيث أن تفسير مفرداته يُعين على معرفة معنى آياته. وذلك بمراجعة المؤلفات في غريب القرآن.

٢- تفسير الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ، والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى في كتب غريب الحديث.

٣- معرفة المراد بألفاظ بعض الفقهاء في المتون، وربطها بالتعريفات الاصطلاحية عندهم. وذلك في المؤلفات الخاصة بغريب ألفاظ الفقهاء. أو كما يسميها بعضهم «لغة الفقه».

٤- فهم مفردات القصائد الشعرية الغريبة، والقطع النثرية الغامضة.

٥- تدوين اللغة العربية خشية ضياع شيء من مفرداتها لا سيما في حياة

---

(١) بتصرف من الخصائص لابن جني ٣/ ٧٦، ولسان العرب، مادة: عجم ٢/ ٦٩٧.

(٢) مقدمة الصحاح ص ٣٨ و ٤٢.

فصحائها. والمحافظة عليها من دخول ما ليس من مفرداتها.

٦- ضبط الكلمات المُعضلة بالشكل، ومعرفة نطقها الصحيح.

٧- بيان اشتقاقات الكلمة وتصريفاتها وجموعها ومصادرها ونحو ذلك.

٨- تحديد أماكن بعض المواقع الجغرافية، والمدن التاريخية.

٩- حفظت لنا المعاجم كماً هائلاً من الشواهد الشعرية لولاها لماتت مع أصحابها الذين لم تجمع أشعارهم.

١٠- اكتساب ثروة لغوية كبرى؛ لا سيما عند تعدد مدلولات الكلمة واختلاف معانيها بحسب سياقها وذلك دليل على سعة وشمول اللغة العربية، وأنها لغةٌ حيةٌ ولودٌ معطاء لديها القدرة على تلبية مطالب الحياة الحضارية ولا غرو فهي لغة القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**﴾ [سورة الشعراء، الآية ١٩٥].

موارد المعاجم:

تستقي المعاجم مادتها من :-

١- القرآن الكريم.

٢- السنة النبوية.

٣- أشعار العرب - لا سيما الجاهلي، وصدر الإسلام.

٤- كلام فصحاء الأعراب في البوادي وأخبارهم.

٥- أقوال أئمة اللغة العربية المتقدمين بالرواية عنهم مشافهة، أو النقل من مؤلفاتهم.

تاريخ المعاجم:

١- كان النواة الأولى لتأليف المعاجم هو التأليف في غريب القرآن. وينسب للصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كتاب في

غريب القرآن ـ لكن لم تثبت نسبته إليه[1] ـ وقد عرف عن ابن عباس اهتمامه بتفسير الألفاظ الغريبة في القرآن وتوضيح معناها مع ذكره لبعض الشواهد الشعرية عليها. ـ وسيأتي هذا مزيد تفصيل عند ذكر المؤلفات في غريب القرآن ـ. ثم ألف الإمام أبو سعيد أبان بن تغلب الجريري البكري ت ١٤١هـ كتاباً في غريب القرآن ثم تبعه عدد من العلماء في التأليف في هذا المجال حيث الاقتصار على تفسير الألفاظ الغريبة في القرآن فقط وذكر بعض الأشعار المؤيدة لمعناها.

٢- ثم تطور التأليف إلى تدوين الألفاظ الغريبة والشاذة والوحشية في مؤلفات خاصة تسمى «النوادر» دون ترتيب أو ترابط بين المفردات في موضوعها أو حروفها، ومن أقدم المؤلفات في ذلك كتاب «**النوادر**» لأبي عمرو بن العلاء البصري ت ١٥٤هـ، وليونس بن حبيب الضبي ت ١٨٢هـ، ولقطرب محمد بن المستنير البصري ت ٢٠٦هـ.

٣- ثم عني اللغويون بجمع الألفاظ التي تتحد موضوعاتها في كتب مستقلة كالخيل والإبل والطير والجراد والمطر والنخل والسلاح وخلق الإنسان والنبات والزرع والأنواء والأزمنة وسيأتي لها مزيد في «معاجم المعاني» من هذا الكتاب[2].

٤- ثم ألف الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ «كتاب العين» فكان أول معجم لغوي مرتب موسع عرفته العرب والتزم فيه بترتيب مواده حسب الحروف الحلقية وذكر مقلوباتها ـ كما سيأتي تفصيله قريباً ـ.

---

(١) للاستزادة، يراجع تاريخ التراث العربي ١/ ٦٦.

(٢) للاستزادة، انظر: معاجم على الموضوعات، ومعجم المعاجم ص ٩٣.

معاجم المعاني

ويراد بها الكتب المؤلفة في جمع الألفاظ حسب موضوعها أو معناها. فمن ابتغى معرفة لفظة فعليه أن يعرف موضوعها، وهل هي مندرجة فيما يتعلق بخلق الإنسان أو الحيون أو السلاح أو الطعام أو الشراب أو اللباس، أو نحو ذلك مما له علاقة بحياة العرب.

وكان العلماء قديماً يفردون أحد الموضوعات بكتاب مستقل يتناولون فيه ذلك الموضوع لوحده من حيث أسمائه وألوانه وأجزائه وأطواره وأمراضه، مع الاستدلال على ذلك ببعض ما ورد من الآيات والأحاديث والأشعار وأقوال الفصحاء والأمثال والأخبار. ونظراً لكثرة المؤلفات سأقتصر على المشهور من المطبوع فقط.

ثم تطور التأليف في ذلك ليشمل جمع عدد من الموضوعات في معاجم موسعة تسمى: «معاجم الموضوعات» أو «معاجم الصفات» لأنها تتناول صفات الأشياء، وتتكلم عنها بدقة في مثل كتب: صفة خلق الإنسان أو الفرس أو الخيل أو الإبل... ونحوها. وهدفهم من ذلك تصنيف الألفاظ اللغوية داخل مجموعات موضوعية وفق معانيها المتشابهة. ويلحق بها أيضاً مؤلفات «غريب الفقه» المرتبة حسب الموضوعات الفقهية، فمن ابتغى لفظة فعليه أن يعرف بابها عند الفقهاء، ويراجعها ضمنه، وكذلك المعاجم المرتبة حسب الموضوعات العقدية أو الأصولية ونحوها.

النوع الأول

إفراد موضوع واحد بمؤلف مستقل

خلق الانسان :

اعتنى العرب كثيراً بالتأليف في الإنسان وخلقه من حيث أسماء أعضائه، ومراحل عمره وألوانه وصفاته والاستدلال على ذلك بأشعارهم وأقوال فصحائهم، ومن أشهر هذه المؤلفات :

١- **خلق الإنسان :**

للإمام عبدالملك بن قريب الأصمعي، ت ٢١٦هـ.

تناول فيه أحوال الإنسان قبل ولادته ثم وصف جسم الإنسان جزءاً جزءاً وأكثر فيه من الشعر والأمثال والأخبار والمحاورات، نشره د. أوغست هفنر، النمساوي، ضمن مجموعة «الكنز اللغوي»، عام ١٣٢٢هـ.

٢- **خلق الإنسان :**

لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت الكوفي، ت ٢٥٠هـ تقريباً.

وهو كتاب موسع تناول فيه كل عضو من أعضاء الإنسان، وأفاض في بيانه مستدلاً بالأشعار والأرجاز والأمثال وأقوال الفصحاء مع بعض الآيات والأحاديث، وطبع بتحقيق الأستاذ/ عبدالستار أحمد فراج، في جزء واحد بالكويت، سنة ١٣٨٥هـ، ويعد هذا الكتاب هو المرجع في بابه، ومنه استفاد عدد ممن صنفوا بعده.

٣- خلق الإنسان :

لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، ت ٣١١هـ.

يتألف من أربعة وثلاثين باباً في خلق الإنسان، واستفاد كثيراً من كتاب الأصمعي، طبع بتحقيق د. إبراهيم السامرائي ضمن رسائل ونصوص في اللغة والأدب عام ١٤٠٨هـ. وكانت طبعته الأولى عام ١٣٨٢هـ.

٤- خلق الإنسان في اللغة :

لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبدالرحمن الشيرازي.

رتب فيه أعضاء الإنسان حسب حرفها الأول الذي تعرف به سواء كان أصلياً أو زائداً. ويعنى بالضبط، وبيان المعنى والاستدلال على ذلك ببعض الآيات أو الأحاديث أو الأشعار، ويتناول أحياناً بعض المسائل النحوية، ويصرح باسم من نقل عنه، وطبع بتحقيق د. أحمد خان في مجلد وسيط صدر عن معهد المخطوطات العربية، بالكويت عام ١٤٠٧هـ، مذيلاً بفهارس عديدة.

* الحيوان :

لما كان للحيوان منافعه العديدة، وصلته الوثيقة بالعرب في البادية والحاضرة، فقد نال منهم عناية فائقة بافراده بمؤلفات تتناول أسماءه وأسنانه وأوصافه وطعامه وشرابه ودواءه، إلى غير ذلك.

ومن تلك المؤلفات ما كان شاملاً للعديد من الحيوانات، ومنها ما كان خاصاً ببعضها لا سيما ما له علاقة مباشرة بحياتهم اليومية كالإبل والخيل والغنم والطيور والحشرات.

ومن تلك المؤلفات :-

Salima

١٣

١- كتاب الإبل :

للإمام الأصمعي، ت ٢١٦هـ.

تناول فيه أسماء الإبل وأمراضها والوانها، وأنواع سيرها وأصواتها، نشره أوغست هفنر ضمن «الكنز اللغوي»، سنة ١٣٢٢هـ.

٢- خلق الفرس :

لأبي عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، ت ٢٣١هـ، طبع في لندن، سنة ١٩٢٨م.

٣- كتاب الخيل :

لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ت ٢١٠هـ.

صدره بمقدمة ذكر فيها مبلغ عناية العرب بالخيل، ثم بدأ بذكر أسماء أجزائه ثم أسنانه، وما يخالف الذكر فيه الأنثى، وما تعرف به جياد الخيل، ثم عيوب الخيل وألوانها، وختمه بطائفة من الأشعار في مدح الخيل، ويعد من أوسع المؤلفات في بابه، وطبع بحيدر أباد عام ١٣٥٨هـ، بعناية وتعليق المستشرق كرنكو، وتصويب عبدالله بن أحمد العلوي.

٤- كتاب الخيل :

للأصمعي، ت ٢١٦هـ.

وهو أقل مادة من كتاب الخيل لأبي عبيدة، نشره د. أوغست هفنر، سنة ١٨٩٥م، ثم حققه د. نوري القيس، وطبع تحقيقه بالعدد ١٢ من مجلة كلية الآداب ببغداد عام ١٣٨٩هـ.

٥- كتاب الشاء :

للأصمعي، ت ٢١٦هـ.

تناول فيه أحوال حمل الشاة وولادتها وأسمائها في مختلف أعمارها

وأسماء أولادها وأوصافها واستشهد على ذلك بشواهد شعرية، ونشره د. أوغست هفنر سنة ١٨٩٦م في بيروت.

٦- **كتاب الوحوش :**

للأصمعي، ت ٢١٦هـ.

تناول فيه وصف وأسماء الحمير والبقر والظباء والوعول والنعام والأسود والذئاب والضباع والثعالب والأرانب وأولادها وما ورد فيها، نشره المستشرق غاير عام ١٨٨٨م، في فينا، ونشره د. خليل العطية في مجلة حولية كلية الإنسانيات بجامعة قطر، العدد العاشر عام ١٤٠٧هـ، ثم طبع ببيروت عام ١٤٠٩هـ. في جزء واحد.

النبات :

كان النبات متاعاً للعرب وطعاماً لهم ولدوابهم فيبحثون عن الكلأ حيث كان ويمتعون أبصارهم بالخضرة والجمال. فلا عجب أن يتكلموا عنه وأنواعه وأطوار نمائه وثماره.

ومن تلك المؤلفات :

١- **كتاب النبات والشجر :**

للأصمعي تناول فيه أسماء النبات وأنواعه ومواضع زرعه وصفاته.

نشره د. أوغست هفنر ضمن مجموعة «البُلغة في شذور اللغة» في بيروت سنة ١٨٩٨م، ثم حققه د. عبدالله يوسف الغنيم، وطبع بالقاهرة عام ١٣٩٢هـ، في مجلد واحد مذيلاً بفهارس عديدة.

٢- **كتاب النبات :**

لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، ت ٢٨٢هـ.

ويعد موسوعة هامة في موضوعه لما حواه من وصف دقيق لكافة

أنـواعـه، مع إيراده للكثـير من النصـوص عن الفصحـاء القدماء والشواهد عن الشعراء، فحظي بعناية العلماء وثنائهم عليه، وعدوه أفضل ما صنف في لغة النبات، وقد نشر المستشرق السويدي برنهار لوين قطعة منه سنة ١٩٥٣م، ونشر د. محمد حميدالله قسماً منه أيضاً، وطبع بعضه بتحقيق جماعة من المستشرقين عام ١٣٩٤هـ.

٣- **كتـاب النخـــل:**

للإمام أبي حاتم السجستاني، ت ٢٥٥هـ.

قسمه إلى قسمين: الأول: تناول فيه مكانة النخلة وما ورد فيها من الآيات والأحاديث والآثار، ثم مواطن وجود النخل من الدنيا وأنه سيد الشجـر أكـرم الله به العـرب في الجزيرة وفي المشرق وشيء في المغـرب وأن أكثره في العراق. والقسم الثاني: ذكر النوى وأوصافه وأجزائه ومنافعه وطريقة زراعته وزمنه ثم تتبع حياة النخلة في مراحل نمـوها وأنواع البسر والتمر وأمراضها. وقد نشره المستشرق برتلميو لجومينا في روما سنة ١٨٩١م، بعنوان: «كتاب النخلة»، ثم حققه د. إبراهيم السامرائي، وصدر عن مؤسسة الرسالة عام ١٤٠٥هـ، في جزء واحد عنوانه: «كتاب النخل».

*** وتنوعت المؤلفات في مختلف جوانب حياة العرب الإجتماعية ومنها:-**

١- **كتاب الأيام والليالي والشهور:**

للإمام أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت ٢٠٧هـ.

بدأه بذكر الأيام وتسميتها، ثم الشهور ثم الليالي وذكر الشمس والقمر والهلال و... الخ.

طبع بتحقيق إبراهيم الإبياري بالقاهرة، سنة ١٣٧٦هـ، ثم طبع أيضاً سنة ١٤٠٠هـ.

٢- كتاب المطـر :

لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، ت ٢١٥هـ.

نشره المستشرق الأمـريكي ريتشـارد غوتيل، سنـة ١٨٩٥م، في نيويورك، ثم نشره لويس شيخو سنة ١٩٠٥م. في جزء صغير.

٣- كتاب السـلاح :

للإمام الأصمعي، ت ٢١٦هـ.

بدأه بالكلام عن السيف، ثم الرماح، ثم القسي، ثم السهام، ثم الترسة، ثم الدروع، ثم الكتاتيب، ثم السروج، ثم اللجام، ذاكـراً أسماءها وصفاتها وأنواعها وما تتألف منه مع الاستدلال على ذلك بالشواهد.

حققه د. محمد جبار المعيبد، ونشره في مجلة المورد، العدد الثاني، عام ١٤٠٧هـ.

٤- كتاب البـئر :

للإمام أبي عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، ت ٢٣١هـ.

بدأ كتابه بذكر أسماء البئر وأجزائها وآلات استخراج المياه... وما يعرض لمائها من التَغيُّر، وما يقال لترابها.

ونشر قديماً ببغداد بالمجلد السادس من مجلة المقتبس بعناية شكري الآلوسي، ثم نشر في العدد التاسع من مجلة كلية الآداب ببغداد سنة ١٣٨٨هـ، بتـحـقيق د. نوري القيسي، ثم حققـه د. رمضـان عبدالتواب، وطبع تحقيقه بالقاهرة سنة ١٣٩٠هـ، ثم ببيروت، سنة ١٤٠٤هـ.

٥- كتاب السـرج واللِّجَـام :

للإمام ابن دريـد، ت ٣٢١هـ.

بدأ بالسرج، وما يتعلق به من أسمائه وآلاته و... ثم اللجام وصفته.

نشره أولاً المستشرق «وليام رايت»، بليدن بهولندا سنة ١٨٥٩م، ضمن مجموعة «حرزة الحاطب، وتحفة الطالب». ثم حققه د. إبراهيم السامرائي وطبع ببغداد سنة ١٣٩٠هـ، ثم بعمان سنة ١٤٠٨هـ.

٦- كتاب الريح :

لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني، المعروف بابن خالوية، ت ٣٧٠هـ.

بدأه بتحديد المدلول النوعي لكلمة الريح وأنها مؤنثة مجازاً، وتناول علاقة الريح بالخير والرحمة، ثم أسماء الريح والاستدلال عليها.

نشره المستشرق ناجليرج سنة ١٩٠٩م، ثم طبع بتحقيق د. حاتم الضامن، ونشر بمجلة المورد، العدد الرابع، عام ١٣٩٤هـ، وذيله بملحق يشمل فوائت أسماء الريح وصفاتها، ثم نشره د. حسين محمد خلف في رسالة التربية الصادرة عن كلية التربية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، في العدد الأول من شهر رجب عام ١٤٠٠هـ.

معاجم الموضوعات اللغوية

المعاني

١- الغريب المصنف :

للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ت ٢٢٤هـ.

ويُعد من أوائل ما ألف من معاجم الموضوعات، وأجودها، وأكثرها فائدة، إذ حوى ما يربو على سبع عشرة ألف مادة لغوية وألفاً ومائتي شاهد شعري وبين مؤلفه مدة تأليفه فقال: «مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة، وربما كنت استفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة[1]».

ويتألف هذا الكتاب من ألف باب جمعها في سبعة وعشرين كتاباً هي :-

خلق الإنسان، النساء، اللباس، الأطعمة، الأمراض، الخمر، الدور والأرضين، الجمل، السلاح، الطير والهوام، الأواني والقدور، الجبال، الشجر والنبات، المياه وأنواعها، النخل، السحاب والأمطار، الأزمنة والرياح، أمثلة الأسماء، أمثلة الأفعال، الأضداد،

---

(١) قيل إنه قال هذه العبارة بعد تأليفه غريب الحديث. قلت: فلعله ألفها في وقت واحد معاً.
واختار د. رمضان عبدالتواب أن هذه العبارة قالها في الغريب المصنف بدليل قوله: «فأضعها في موضعها» وهذا يعني أنه مرتب على الأبواب بخلاف غريب الحديث حيث لم يرتب أحاديثه وألفاظه.
انظر مقدمة تحقيق الغريب المصنف ١/ ٤٥.

مكارم الأخلاق، الأسماء المختلفة لشيء واحد، الإبل ونعوتها، الغنم ونعوتها، الوحوش، السباع، الأجناس.

وهو مليء بالشواهد والمرويات عن أئمة اللغة.

وحظي الكتاب باهتمام العلماء وعنايتهم به حتى أن الإمام «أبو الحسن ابن سيده» كان يحفظه كاملاً وهو أعمى.

وكان الشاعر أبو بكر الأبيض قد كبل نفسه حتى حفظه.

وقد نشر المستشرق الألماني شبتلر أجزاء من الكتاب قديماً.

وحققه د. رمضان عبدالتواب وطبع أوله عام ١٤٠٩هـ، وصدر عن مكتبة الثقافة العربية بمصر، وجعل له مقدمة وافية عن الكتاب وموارده وأثره ومنهجه.

٢- **كتاب الألفاظ** :

للإمام أبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، ت ٢٤٤هـ.

جعله في مائة وثمانية وأربعين باباً، منها ما قد سبق ذكره في الغريب المصنف، ومما زاده أبواب في الغنى والفقر والعقل والحزم والحمق والألوان وصفة الشمس وغيرها، وطبع في بيروت سنة ١٣١٣هـ، بعناية لويس شيخو.

٣- **تهذيب الألفاظ** :

للإمام الخطيب التبريزي، ت ٥٠٢هـ.

هذب فيه وأضاف وشرح وتعقب كتاب «الألفاظ لابن السكيت»، ونشره لويس شيخو في بيروت عام ١٣١٣هـ بعنوان: «كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ»، ثم نشره في طبعة ثانية عام ١٣١٥هـ بعنوان: «مختصر تهذيب الألفاظ».

Sisse Djara

Sisse

المدارس المعجمية[1]

أمكن لبعض الباحثين المُحْدَثين أن يقسموا المعاجم اللغوية ـ حسب طريقة ترتيب الألفاظ فيها، وجمعها في أبواب مرتبة ترتيباً معيناً ـ إلى أقسام ثلاثة، سموها: المدارس المعجمية.

ومعرفة هذه المدارس تعين على الاستفادة من تلك المعاجم، حيث تُعَرِّف طريقةَ مؤلفيها، ومناهجهم.

فالمدرسة الأولى: هي مدرسة التقليبات بنوعيها، الصوتية، والأبجدية.

والمدرسة الثانية: مدرسة القافية.

والمدرسة الثالثة: مدرسة الأبجدية العادية.

وإليك شرح هذه المدارس على سبيل الإيجاز.

أولاً: مدرسة التقليبات: وأول من ابتكرها صاحب أول معجم شامل في العربية، وهو الخليل بن أحمد في كتابه (العين).

حيث جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في مكان واحد مراعياً بذلك الناحية الصوتية؛ فهو يبدأ بأبعد الحروف من هذه الناحية.

ولما كانت حروف الحلق هي الأبعد مخرجاً فهو يبدأ بها، ثم يثني باللسانية، وهي التي تليها في المخرج، ثم بالشفوية، ثم اختتم بحروف العلة.

1ـ انظر دراسات في المعاجم العربية ص٨ـ٩.

P S S
DJara Salimo
Sissé Seidi

Seidi

فقه اللغة Salimo Salimo Seidi

فمثلاً: الكلمات الثلاثية يكون لها ستة تقليبات، ويبدأ فيها بأبعدها مخرجاً.

مثال ذلك: الكلمات التي تكون من الباء والراء والعين لها تقليبات ستة-كما مر- ويبدأ بأبعدها مخرجاً وهي العين، ثم بالراء؛ لأنها لسانية، ثم بالياء؛ لأنها شفوية.

هكذا: ١- عرب ٢- عبر ٣- رعب ٤- ربع ٥- بعر ٦- برع.

وهذا ما يعرف بالتقليبات الصوتية، فالخليل رحمه الله وضع الحروف على حسب مخارجها؛ فبدأ بأبعدها مخرجاً وهو العين فسمى معجمه بذلك.

وهذا تأليفه للحروف رحمه الله:

ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ر ل ن / ف ب م / و ى / همزة.

مثال آخر لطريقة التقليبات:

مادة: الراء، والكاف، والباء: ركب

كيف نبحث عنها في كتاب العين أو غيره ممن يأخذ بنظام التقليبات؟

والجواب أن ذلك يكون بطريقة التقليبات الصوتية؛ حيث يبحث عن أبعد حروف المادة مخرجاً فيبدأ به، وذلك كما يلي:

كرب، كبر، ركب، ربك، بكر، برك، وهكذا...

هذا وقد تَبِعَ الخليلَ بنَ أحمدَ في هذه الطريقة علماءُ كثيرون، من أشهرهم: أبو علي القالي ت٣٥٦هـ في معجمه (البارع)، وأبو منصور الأزهري ت٣٧٠هـ في معجمه (التهذيب)، وابن سيدة ت٤٥٨هـ في معجمه (المحكم).

وهذه الطريقة صعبة، وتحتاج إلى معرفة بالأصوات، وهذا ما قلل الاستفادة من المعاجم التي تأخذ بهذه الطريقة.

* **وهناك نوع آخر من التقليبات**، ويكون حسب أول الحروف ترتيباً من الناحية الأبجدية؛ فالمادة الثلاثية وتقليباتها الستة توضع تحت أول الحروف ترتيباً من هذه الناحية.

فمثلاً ترتيب مادة الباء، والراء، والعين، يكون هكذا: برع، بعر، ربع، رعب، عبر، عرب.

وينفرد ابن دريد بهذه الطريقة في كتابه الجمهرة.

ثانياً: مدرسة القافية، أو نظام القافية:

وهذه المدرسة تعتمد على الحرف الأخير - كما يبدو في التسمية - حيث يُنظر إلى الحرف الأخير في المادة، فَيُجْعَلُ باباً، والحرف الأول، فيجعل فصلاً.

والمعجم - بذلك - يحتوي على ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء، وكل باب يحوي ثمانية وعشرين فصلاً.

مثال ذلك كلمة (علم) يبحث عنها في باب الميم، فصل العين وهكذا...

وقد اتبع هذه الطريقةَ كثير من العلماء، من أشهرهم الجوهري ت٣٩٨هـ في معجمه (الصحاح)، وابن منظور ت٧١١هـ في معجمه (لسان العرب) والفيروزأبادي ت٨١٧هـ في (القاموس المحيط) والزبيدي ت١٢٠٥هـ في معجمه (تاج العروس في شرح ألفاظ القاموس).

فقه اللغة

ثالثاً: مدرسة الأبجدية العادية:

وهي التي يراعى فيها وضع الألفاظ وترتيبها في أبواب وفصول حسب الترتيب الموجود في الكلمة، فينظر إلى الحرف الأول، والثاني وما يكون معهما لفظاً ثلاثياً بدون تقليب، بل ترتب الأبواب حسب الحرف الأول مراعىً في ذلك الحرف الثاني، ثم الثالث.

وهذه طريقة سهلة ميسرة؛ ولهذا رأى كثير من العلماء ـ وخاصة المحدثين ـ اتِّباعها؛ لأنها لا تحتاج إلى دراسة الأصوات، ولكنها تسير حسب ما هو معروف في الترتيب الأبجدي العادي.

ولعل أول من أخذ بتلك الطريقة العالم اللغوي ابن فارس في معجميه (مقاييس اللغة) و (مجمل اللغة).

وكذلك الزمخشري ت٥٣٨هـ في معجم (أساس البلاغة) وكذلك المعاجم الحديثة مثل (المعجم المحيط) ومختصره (قطر المحيط) لبطرس البستاني ت١٣٠٧هـ، و (المنجد) للأب لويس المعلوف ت حوالي١٣٢٤هـ، و (المعجم الوسيط) الذي صدر عن المجمع اللغوي سنة ١٣٨٠هـ.

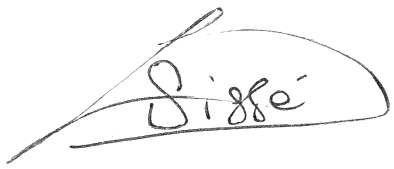

دراسة لبعض المعاجم التي تأخذ بنظام التقليبات

نظام التقليبات ـ كما مر ـ على نوعين: **أحدهما**: نظام التقليبات الصوتية، **والآخر**: نظام التقليبات الأبجدية.

والحديث ههنا سيتناول أربعة كتب تأخذ بنظام التقليبات، ثلاثة منها تأخذ بنظام التقليبات الصوتية، وهي (العين) و (التهذيب) [illegible]

وواحد منها يأخذ بنظام التقليبات الأبجدية، وهو (الجمهرة).

الكتاب الأول: كتاب العين[1]

أولاً: صاحبه: هو الخليل بن أحمد اليحمدي الأزدي الفراهيدي.

وهو من أصل عربي، ولد في عُمان على الخليج العربي سنة ١٠٠هـ، ونشأ في البصرة، وعرف بالبصري، وتلقى على أيدي كبار علمائها من أمثال أبي عمرو ابن العلاء، وأيوب، وعاصم الأحول، كما تصدى للتدريس بمجالس البصرة، فتتلمذ على يديه كثير من أفاضل العلماء كالنَّضْر بن شميل، والأصمعي، وسيبويه.

وكان ذا ديانة، وعفاف وصيانة، وجود وزهد، وقناعة، وسماحة نفس.

وكان ذا عقلية جبارة، وموهبة فذة مبتكرة.

ولم يقف علمه عند اللغة فحسب، بل تفوق في علوم الشريعة وغيرها.

أثنى عليه العلماء، وأقروا بفضله، ونبوغه، وعبقريته.

قال سفيان الثوري رحمه الله: «من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك ـ فلينظر إلى الخليل بن أحمد».

وقال حمزة الأصبهاني رحمه الله: «لم يكن للمسلمين أذكى عقلاً من الخليل».

كما أعجب به كثير من المستشرقين الذين اعترفوا بفضله، ونبوغه.

1ـ انظر دراسات في المعاجم العربية ص١٠ـ٢٥، ومقدمة كتاب العين تحقيق د. عبدالحميد هنداوي ١/٨ـ٣٣

ثانياً: الاهتمام بكتاب العين وخلاصة الآراء حوله[1]:

اهتم العلماء بكتاب العين، وكثر الجدل والخلاف حوله خصوصاً من ناحية تأليفه ومؤلفه؛ فمنذ عصر الخليل إلى عصرنا هذا والخلاف حوله كثير جداً.

ويكاد الخلاف في هذه المسألة يتلخص في الآراء التالية:

١ـ أن الخليل لم يؤلف كتاب العين، ولا صلة له به، وممن قال بذلك أبو علي القالي، وأستاذه أبو حاتم.

٢ـ أن الخليل لم يضع نص كتاب العين، ولكنه صاحب الفكرة في تأليفه، فزعموا أن الفكرة للخليل، والتنفيذ لتلميذه الليث بن المظفر بن نصر الخراساني.

وأول من قال بذلك: الأزهري صاحب التهذيب.

٣ـ أن الخليل لم ينفرد بتأليف كتاب العين، ولكن كان لغيره عون في ذلك؛ حيث مال أغلبهم إلى أن الليث هو الذي ساعد في إتمام الكتاب.

ولكن أصحاب هذا الرأي يختلفون فيما بينهم في تفسير اشتراك الليث مع الخليل، وإلى أي مدى عاون الليث في تأليف الكتاب؛ فمنهم من قال: إن الليث أعاد وضع الكتاب، وينسب ذلك إلى ابن المعتز، ومنهم من قال: الخليل وضعه والليث أكمله، وينسب هذا إلى أبي الطيب اللغوي.

٤ـ أن الخليل عمل من كتاب العين أصوله، ورتب أبوابه، وصنف مواده، ولكن غيره حشا المفردات.

1ـ انظر هذه الآراء، ومناقشتها بالتفصيل في المزهر ١/٧٦ـ٩٢، ومقدمة كتاب العين د. عبدالحميد هنداوي ١ـ٣٣.

٥ـ أن الخليل عمل كتاب العين، بمعنى أنه ألفه، وروي عنه.

ومن أشهر من قال بهذا ابن دريد، وابن فارس، والسيوطي، والمستشرق براونلتش.

قال ابن دريد رحمه الله في مقدمة الجمهرة: «وقد ألف أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، وعنَّى من سما إلى نهايته»[1].

وقال ابن فارس رحمه الله في مقدمة كتابه المقاييس حينما تحدث عن مصادر كتابه: «فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد المسمى كتاب العين»[2].

وقال السيوطي رحمه الله: «أول من صنف في جمع اللغة الخليل بن أحمد ألف في ذلك كتاب العين المشهور»[3].

وأما المستشرق براونلتش فقد توصل بعد طول دراسة وتأمل إلى أن الكتاب للخليل، وبين سبباً لهذا وهو أن جُلَّ من تكلموا على العين اتفقوا على أن التنظيم والترتيب من صنع الخليل، وهذا هو جوهر المسألة، وهو المعنى بكلمة التأليف، أما الإضافة والحذف فلا تؤثر في كون الخليل مؤلف الكتاب.

وأضاف ـ أيضاً إلى هذا ـ أن تلميذه الليث قد قام بنصيب كبير في نقل الكتاب

1ـ مقدمة الجمهرة ٣/١.

2ـ معجم مقاييس اللغة ٣/١.

3ـ المزهر ٧٦/١.

عن الخليل، وربما أثبتِ فيه أشياء بعد أنِ استأذن الخليل في ذلك.

وانتهى من هذا إلى أن الخليل هو المؤلف، وأن المخرج للكتاب هو الليث[١].

الرأي الراجح:

لعل الرأي الراجح الصحيح هو أن الخليل هو واضع كتاب العين كما نص على ذلك صراحة ابن دريد، وابن فارس، والسيوطي وغيرهم.

وأما ما وجد فيه من أشياء لا يمكن نسبتها إلى الخليل، مثل التصحيف أو التحريف أو مسائل لا تسير وفق مذهبه البصري، أو حكايات عن المتأخرين عنه، أو المعاصرين له فذلك كله إنما هو من عمل النساخ، أو غيرهم من قد يتعمدون ذلك.

ثم إن الآراء الأخرى أغلبها استنتاجي يعتمد فقط على الرواية دون النظر إلى وقائع الأمور[٢].

ثالثاً: المنهج الذي سار عليه الخليل في كتاب العين[٣]:

يمكن إيجاز المنهج الذي سار عليه الخليل في كتاب العين على النحو التالي:

١ـ اتبع نظام التقليبات الصوتية وبدأ بأبعد الحروف مخرجاً: حيث رتب المواد على أساس مخارج الحروف ـ كما مر ـ فبدأ بأبعدها مخرجاً وهي الحلقية (ع ح هـ خ غ) ثم حروف أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى (ق ك) ثم وسط

1ـ نشر هذا المستشرق بحثاً مطولاً عن هذا الموضوع في مجلة إسلاميات ٣٩/٢.

2ـ انظر دراسات في المعاجم ص١٠ـ١١، ومقدمة العين ٢٥/١.

3ـ انظر دراسات في المعاجم ص١٦ـ١٩.

اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى (ج ش) ثم حرف الضاد على اختلاف في مخرجه (ض) ثم طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى (ص س ز) ثم مع أصول الثنايا العليا (ط د ت) ثم مع أطراف الثنايا العليا (ظ ذ ث) ثم مع اللثة العليا (ر ل ن) ثم حروف الشفتين (ف ب م) وأخيراً الحروف الجوفية (و ا ي).

وقد سمى كل حرف منها كتاباً، وسمى المعجم كله بأول حرف بدأ به، وهو العين.

قال السيوطي رحمه الله: «فائدة: ترتيب كتاب العين ليس على الترتيب المعهود الآن في الحروف، وقد أكثر الأدباء من نظم الأبيات في ترتيبه؛ من ذلك قول أبي الفرج سلمة بن عبدالله بن لادن المعافِري الجزيري:

يا سائلي عن حروف العين دونكها ... في رتبة ضمها وزنٌ وإحْصاء

العين والحاء ثم الهاء والخاء ... والغين والقاف ثم الكاف أكْفاء

والجيم والشين ثم الضادُ يتبعها ... صاد وسين وزاي بعدها طاء

والدال والتاء ثم الطاء متَّصل ... بالظاء ذال وثاء بعدها راء

واللام والنون ثم الفاء والباء ... والميم والواو والمهموز والياء[1]

٢- جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في موضع واحد، واتبع فيها نظام التقليبات - كما مر -.

٣- لاحظ الأبنية حسب مقدار حروف الكلمة؛ حيث يبدأ بالثنائي، ثم

1- المزهر ١/٨٩-٩٠.

الثلاثي، ثم الرباعي، ثم الخماسي.

٤- أرجع الكلمة إلى حروفها الأصلية وذلك بتجريدها من الزوائد، وإرجاعِ المعتل إلى أصله، مثال ذلك: استغفر تكون: غفر، وقال: قول، وباع: بيع وهكذا...

٥- استشهد بالكتاب، والسنة، كما استشهد بالمأثور من كلام العرب، ونادراً ما يَنْسِب ما يَذْكُر.

٦- ينبه على المهمل والمستعمل في بداية كل مادة وتقليباتها مثال ذلك: باب العين والكاف، والدال، عكد، دعك، دكع، مستعملات، عدك كدع، كعد مهملات.

رابعاً: المآخذ على كتاب العين[1]:

١- استشهاده بشعر بعض المُحدثين، واحتواؤه على حكايات عن بعض المتأخرين الذين جاؤوا بعد وفاة الخليل كأبي إسحاق الزجاج، وكراع النمل وغيرهما.

٢- خلطه بعض المواد الرباعية والخماسية.

٣- احتواؤه على كثير من التصحيفات التي لا تليق بالخليل.

٤- بناء المعجم على أساس صوتي، وذكر المادة وتقليباتها في موضع واحد؛ فهذا يجعل البحث عن الكلمات صعباً؛ إذ لا بد من معرفة مخارج الأصوات، ومعرفة التقليبات لمن يريد الكشف في العين عن معنى كلمة حتى يسهل عليه

1- انظر المزهر ١/٧٩ - ودراسات في المعاجم ص٢٠-٢٥.

ذلك.

وهذا من أكبر الأسباب التي قللت الاستفادة من مثل هذا المعجم.

وقد طبع المعجم طبعة جديدة صدرت عن دار الكتب العربية بيروت لبنان ١٤٢٤هـ، وترتيب وتحقيق د. عبدالحميد هنداوي.

وهذه الطبعة رتَّبت المعجم ترتيباً أبجدياً عادياً؛ فلعل في ذلك تسهيلاً وتيسيراً.

٥ـ أنَّ ما في العين من آراء نحوية إنما هو على مذهب الكوفيين، وبخلاف مذهب البصريين.

مع أن مذهب الخليل كان يتبع المذهب البصري.

٦ـ أخذ بعض العلماء على الخليل إنفراده بكثير من الألفاظ، مثل قوله: التاسوعاء: اليوم التاسع من المحرم، وقد استدرك ذلك عليه الزبيدي بقوله: «لم أسمع بالتاسوعاء، وأهل العلم مختلفون في عاشوراء، فمنهم من قال: إنه اليوم العاشر من المحرم، ومنهم من قال: إنه اليوم التاسع».

ودافع السيوطي عن ذلك بقوله: «إن الانفراد أمر طبيعي، وحكمه القبول إن كان المنفرد به من أهل الضبط والإتقان كأبي زيد، والخليل، والأصمعي»[1].

٧ـ اشتمل كتاب العين على أخطاء صرفية واشتقاقية كقوله: «ليس في الكلام نون أصلية في صدر الكلمة».

قال الزبيدي في استدراكه: «جاءت كثيراً نحو: نهشل، ونعنع».

1ـ وقد حكى السيوطي كثيراً من الأمثلة في بابين من كتاب المزهر: الأول: (ذكر نوادر من التأليف) ٤٢/٢ـ٤٨ والثاني: (باب ضوابط واستثناءات في الأبنية وغيرها) ٤٩/٢.

فقه اللغة

هذه جملة من المآخذ على كتاب العين، وقد اعتذر له كثير من الباحثين والمنصفين.

يقول الدكتور أمين فاخر: «ويبدو أن هذه المآخذ يرجع معظمها إلى عمل النساخ الذين خلطوا بين متن الكتاب الذي هو للخليل، وبين الهوامش التي وضعها بعض المتأخرين من تلاميذ الخليل حينما رأوا أن يدونوا ملاحظاتهم على الكتاب)»[1].

وقال السيوطي رحمه الله: «وقد طالعته إلى آخره، فرأيت وجه المتخطئة فيما خُطِّئ به غالبُه من جهة التصريف والاشتقاق؛ كذكر حرفٍ مزيد في مادة أصلية، أو مادة ثلاثية في مادة رباعية ونحو ذلك، وبعضُه ادعى فيه التصحيف.

وأما أنه يُخَطأ في لفظه من حيث اللغة بأن يقال: هذه اللفظة كذب، أو لا تعرف فمعاذ الله لم يقع ذلك.

وحينئذ لا قدح في كتاب العين؛ لأن الأولَ الإنكارُ فيه راجع إلى الترتيب والوضْعِ في التأليف، وهذا أمر هين؛ لأن حاصله أن يقال: **الأولى** نقل هذه اللفظة من هذا الباب، وإيرادها في هذا الباب.

وهذا أمر سهل، وإن كان مقام الخليل ينزه عن ارتكاب مثل ذلك، إلا أنه لا يمنع الوثوق بالكتاب، والاعتماد عليه في نقل اللغة.

والثاني: إن سُلِّم فيه ما ادعي من التصحيف يقال ما قالته الأئمة: ومن ذا الذي سلم من التصحيف؟ كما سيأتي في النوع الثالث والأربعين مع أنه قليل

1ـ دراسات في المعاجم ص٢٤.

جداً»[1].

وهكذا يتبين لنا من خلال ما مضى منزلة كتاب العين، وأن المآخذ عليه - إذا وجدت - لا تنقص من قيمته، ويكفيه فخراً أنه أول معجم لغوي شامل في العربية.

1- المزهر ١/٨٦.

الكتاب الثاني: تهذيب اللغة[1]

أولاً: صاحبه: هو أبو منصور محمد بن أزهر الهروي المعروف بالأزهري، ولد سنة ٢٨٢هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ.

ويبدو أنه تخصص في بادئ الأمر في دراسة فقه الشافعي، وبرز فيه إلا أنه تحول بعد ذلك إلى دراسة اللغة، وساعده على ذلك أنه اختلط ببعض القبائل العربية الفصيحة فترة طويلة؛ حيث وقع في الأسر لديهم؛ فقد حدث أيام فتنة القرامطة سنة ٣١٢هـ في أيام المقتدر بالله المعتضد أن كان الأزهري مسافراً إلى الحج، وعنده عودته أسرته الأعراب، وعاش فترة طويلة بين عرب هوازن وقد اختلط بهم تميم وأسد، وهؤلاء جميعاً من فصحاء العرب، ويحكي ذلك الأزهري نفسه كما روته كتب التراجم فيقول: « وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضتِ القرامطة الحجاج بالهبير[2]، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً نشأوا بالبادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النُّجَع، ويرجعون إلى أعداد المياه، ويرعون النَّعم، ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدوية، وقرائحهم التي اعتادوها، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في إسارهم دهراً طويلاً، وكنا نتشتى الدهناء، ونرتبع الصُّمَّان، ونتقيظ السِّتارَين.

1ـ انظر مقدمة تهذيب اللغة للأستاذ عبدالسلام هارون ١/٥ـ٢٦، ودراسات في المعاجم العربية ص٢٦ـ٣١.

2ـ الهبير: رمل زرود في طريق مكة.

واستفدت من مخاطباتهم، ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة، ونوادر كثيرة، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب»[1].

وقد رجع الأزهري - بعد انتهاء أسره - إلى بغداد وكله شوق إلى دراسة اللغة وولوع بالبحث عن معاني الألفاظ والاستقصاء فيها، وأخْذِها من مظانها، وإحكام الكتب التي تأتّى له سماعها من أهل الثبت والأمانة للأئمة المشهورين وأهل العربية المعروفين، وقد حكى ذلك عن نفسه في مقدمة كتابه التهذيب.

وفي بغداد تتلمذ على أبي عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بـ: نفطويه ت٣٢٣هـ، وأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج ت ٣١٦هـ، وأبي القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي ت٣١٧هـ).

ثانياً: هدف الأزهري من التأليف: لعل عنوان كتابه (التهذيب) يبين هدفه من تأليفه؛ فقد قصد من ذلك أن يهذب اللغة، ويخلصها مما علق بها من شوائب.

والمتتبع لكلامه في المقدمة - كما يقول الدكتور أمين فاخر - يبدو له أن للأزهري أهدافاً ثلاثة:

١- تقييد ما سمعه وحفظه من أفواه العرب الذين شاهدهم وأقام بينهم.

٢- النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين.

٣- تصحيح الأخطاء الواردة في كتب اللغة قبله.

ثالثاً: منهجه: يمكن تلخيص منهج الأزهري في كتابه التهذيب فيما يلي:

1- تهذيب اللغة ١/٧.

١ـ اتبع نظام المخارج، وبدأ بحرف العين.

٢ـ سار على نظام التقليبات الصوتية بحيث يذكر المادة وما تقلب منها.

٣ـ قسم المعجم إلى أبواب حسب حروف الهجاء، ثم قسّم كل باب إلى ستة أبنية، هي: الثنائي، والثلاثي الفصيح والمهموز والمعتل، والرباعي، والخماسي، وأشار في صدر كل باب إلى المهمل والمستعمل.

رابعاً: مميزات معجم التهذيب:

١ـ اعتنى كثيراً بالشواهد القرآنية، والحديثية، وبالقراءات المختلفة.

٢ـ يشير إلى المهمل وسبب إهماله، كما يشير إلى المستعمل الذي أهمله من سبقه من العلماء.

٣ـ اهتم بنسبة الأقوال إلى أصحابها.

٤ـ اعتنى بذكر المواضع والبلدان.

٥ـ توسع في ذكر الألفاظ وشرحها.

خامساً: المآخذ على التهذيب: من المآخذ عليه ما يلي:

١ـ اتِّبَاعُه نِظامَ التقليباتِ الصوتية مما جعل البحث فيه عسيراً صعباً.

٢ـ توسعه في الشرح مما فتح عليه باب التكرار.

٣ـ تحامله على كثير من اللغويين السابقين.

هذه بعض المآخذ على الأزهري، وعلى أي حال فمعجمه من المعاجم التي بُذل فيها جهد عظيم، وأفادت منها العربية فائدة جليلة.

الكتاب الرابع: معجم جمهرة اللغة[1]

هذا الكتاب يمثل نظاماً جديداً من التأليف مختلفاً عن نظام الخليل وما تبعه من المعاجم التي سارت وفق مدرسة التقليبات الصوتية؛ ولهذا تأخر ذكره في الدراسة في هذا الكتاب مع أنه متقدم عليها في لتأليف.

والدراسة في هذا لكتاب ـ كغيره ـ حيث ستتناول الأمور التالية:

أولاً: صاحبه: هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد.

ولد عام ٢٢٣هـ بالبصرة، وتوفي فيها عام ٣٢١هـ عن ثمانية وتسعين عاماً.

ويعد من أبرز علماء القرنين الثالث والرابع من الهجرة.

وكان أبوه الحسن بن دريد من الرؤساء، وقد نَشَّأه والده تنشئة أهَّلته لأن يتصدر في العلم ستين سنة، وعد بذلك ـ كما تذكر كتب الطبقات ـ رأس أهل العلم، والمقدم في حفظ اللغة والأنساب، وأشعار العرب.

وكان ابن دريد حجة في اللغة ذا حافظة قوية، وعقلية نادرة، وله قصص في ذلك.

وكان شاعراً مُفْلِقاً، ويذكر ياقوت الحموي أنه كان يقال عنه: «ابن دريد أشعر العلماء، وأعلم الشعراء»[2].

1ـ انظر مقدمة كتاب الجمهرة ١/٢ـ٢٠ ففيها تفصيل لسيرته، ومنهجه، وانظر دراسات في المعاجم العربية ص٣٨ـ٤٨.

2ـ معجم الأدباء ١١/١٢٩.

أخذ عن كثير من علماء عصره كأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي، وأبي عثمان الأشناندانى وغيرهم.

وأخذ عنه أبو سعيد السيرافي، وأبو الفرج الأصبهاني، وابن خالويه وغيرهم.

كما خلف ثروة ضخمة من كتب اللغة أشهرها الجمهرة، والاشتقاق.

ثانياً: سبب التسمية، والهدف من الكتاب: أما سبب تسمية الكتاب بـ: الجمهرة فلأنه ـ كما يقول في المقدمة ـ: «وإنما أعرناه هذا الاسم؛ لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشي المستنكر»[1].

أما الهدف فواضح من المقدمة، ويكاد ينحصر في أمرين:

١ـ جمع الألفاظ الشائعة المألوفة والبعد عن الوحشي المستنكر.

٢ـ جمع الألفاظ بطريقة ميسرة خلاف ما كانت عليه طريقة الخليل.

قال ابن دريد رحمه الله في مقدمته: «وقد ألف أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي ـ رضوان الله عليه ـ كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، وعنَّى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكل من بعده له تبع، أقر بذلك أم جحد، ولكنه رحمه الله ألف كتابه مُشاكلاً[2] لِثُقُوب فهمه، وذكاء فطنته، وحِدَّة أذهان أهل دهره.

وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فاش، والعجز لهم شامل، إلا

1ـ جمهرة اللغة لابن دريد ١/٤.

2ـ هكذا في المزهر ١/٩٢، وفي الجمهرة: مشكلاً.

خصائص كدَرَارِيِّ النجوم في أطراف الأفق، فسهَّلنا وعره، ووطَّأنا شَأزَه[١]، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة؛ إذ كانت بالقلوب أعلق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة»[٢].

ثالثاً: إملاء ابنِ دريدِ الجمهرةَ: قال السيوطي رحمه الله: «وقال بعضهم: أملى ابن دريد الجمهرة في فارس، ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه، ولم يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلا في الهمزة واللفيف؛ فلذلك تختلف النسخ، والنسخة المعول عليها هي الأخيرة، وآخر ما صحَّ نسخةُ أبي الفتح عبيدالله بن أحمد بن محمد النحوي المعروف بجَخْجَخْ؛ لأنه كتبها من عدة نسخ، وقرأها عليه»[٣].

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، ومنها طبعة دار صادر بيروت وتقع في أربعة مجلدات.

رابعاً: منهجه[٤]: يعد معجم الجمهرة ثاني معجم شامل في العربية بعد كتاب العين، وقد حاول ابن دريد أن يخالف الخليل في ترتيب المواد، فابتكر نظاماً جديداً للتقليبات وهو تقليب المادة حسب حروفها ترتيباً أبجدياً.

وهو في هذا قد سلك مسلكاً جديداً في ترتيبه للمواد المعجمية، ولم يتبعه في

Wh & Mu'mar

1- الشأز: الصعب.

2- جمهرة اللغة ١/٣.

3- المزهر ١/٩٤-٩٥.

4- انظر دراسات في المعاجم ص٤١-٤٢.

هذا أحد من أصحاب المعاجم من بعد.

ولهذا يعده بعض الباحثين ممثلاً لمدرسة جديدة هي مدرسة التقليبات الأبجدية.

أما في غير ذلك فقد نهج نهجاً لا يختلف عن منهج الخليل في معجم العين.

ولذلك يمكن أن يوجز المنهج الذي سار عليه ابن دريد فيما يلي :

١ـ أرجع الكلمات إلى حروفها الأصلية ، فجرد الكلمة من الزوائد ، وأرجع المقلوب إلى أصله ، وشأنه في هذا شأن جميع المعاجم.

٢ـ اتبع نظام التقليبات للكلمة ، ولكنها التقليبات الأبجدية؛ فإذا تحدث ـعلى سبيل المثال ـ عن (ب ر ك) تحدث بعدها عن جميع تقاليبها وهي : (ب ك ر) و(ر ب ك) و (ر ك ب) و (ك ب ر) و (ك ر ب) وهكذا في كل المواد؛ حيث يقلبها حسب التقليب الأبجدي لا التقليب الصوتي.

وهذه أسهل من طريقة الخليل.

٣ـ جعل الأبنية هي الأساس الأول في تقسيمه للمعجم ، ثم قسمها إجمالاً كتقسيم الخليل ، فهي عنده ثلاثيةٌ ـ والثلاثي يشمل الثنائي المضعف ـ ورباعيةٌ ، وخماسية ، وملحقات بكل بناء.

أما تفصيلاً فقد اضطرب إلى حد كبير؛ فقد تنوعت الأبنية في الجمهرة تنوعاً كبيراً حتى إن بعض الباحثين حصرها في سبعة عشر باباً وهي : الثنائي الصحيح ، والملحق ببناء الرباعي المكرر ، والمعتل ، والثلاثي الصحيح وما تشعب منه ، وما اجتمع فيه حرفان مثلان في أي موضع ، وما عين الفعل منه أحد أحرف اللين ، والثلاثي المعتل ، وباب النوادر في الهمز ، وباب اللفيف في الهمز ، وأبواب

الرباعي الصحيح، والرباعي الذي جاء فيه حرفان مثلان، والرباعي الذي جاء على أوزان ضعف فيها الحرف الرابع، وما ألحق بالرباعي والخماسي والسداسي، واللفيف، وأبواب متفرقة من النوادر.

٤ـ أورد في مقدمته بحوثاً لغوية مهمة، تعد مكملة لبحوث الخليل ولا تخلو من فوائد عظيمة في مجال البحث اللغوي الحديث.

وقد بدأ هذه المقدمة باستنكار الطعن في السلف، والإزراء بالعلماء السابقين.

ثم تحدث ـ في المقدمة أيضاً ـ عن ضرورة معرفة حروف المعجم، وما يأتلف منها وما لا يأتلف، وسبب ذلك.

كما ذكر عدد الحروف وهي تسعة وعشرون حرفاً، ما يختص العرب بنطقه منها، وما لا يختص، وما لم يجئ من الحروف في لغة العرب.

كما أفرد باباً لصفة الحروف وأجناسها، وذكر أنها سبعة أجناس يجمعهن لقبان: المصمتة، والمذلقة، مبيناً معناهما، وعرض لبقية الصفات، وهي الهمس والجهر والشدة، شارحاً كل نوع، وذاكراً حروفه.

وذكر مخارج الحروف وأجناسها، فبدأ بالحلقية، ثم حروف الفم، ثم المخارج الشفوية.

كما ذكر أنه لا بد للباحث من معرفة الحروف الأصلية والزائدة، وعقد فصلاً في ذلك مبيناً مواضع زيادة الحروف.

كما عقد فصلاً للأبنية، وسماه باب الأمثلة، فذكر أنها ثلاثية، وأنها عشرة ورباعية وخماسية، وذكر أبنية كل نوع والأمثلة التي وردت منه.

كما يفهم مما ذكره ابن دريد في المقدمة ـ أيضاً ـ أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة، وأقلها استعمالاً ـ لثقلها على ألسنتهم ـ الطاء والدال، وأن الثلاثي أكثر الأبنية.

ثم أخذ بعد ذلك في ذكر المواد اللغوية وشرحها.

خامساً: مميزات معجم الجمهرة: جاء معجم الجمهرة ـ كما مر ـ بعد معجم العين مباشرة، وقد حاول فيه صاحبه أن يتحاشى ما وقع فيه الخليل في كتاب العين، ويمكن إجمال مميزات الجمهرة فيما يلي:

١ـ ابتعد ابن دريد عن نظام التقليبات الصوتية، واتبع نظام التقليبات الأبجدية، وهي ـ على كل حال ـ أيسر.

٢ـ انفرد ابن دريد ببعض الصيغ كما انفرد ببعض الشواهد.

٣ـ اعتنى باللهجات الواردة عن القبائل العربية، ونسبها إلى أهلها.

٤ـ اعتنى بالشواهد القرآنية والحديثية وكلام العرب.

٥ـ اعتنى بالإشارة إلى الألفاظ المُعَرَّبة والدخيلة.

سادساً: المآخذ على الجمهرة[1]:

١ـ اتباعه لنظام التقليبات الأبجدية؛ فهي وإن كانت أيسر من نظام الصوتية إلا أن نظام التقليبات بحد ذاته شاق.

٢ـ وقوعه في كثير من الاضطرابات؛ فقد خلط في الأبنية ونظامها؛ حيث لم يجعلها الأساس الأول في جميع المعجم، ولكنه ألحق في بعض الأبواب إضافات

1ـ انظر دراسات في المعاجم العربية ص٤٣ـ٤٨.

صادفته أثناء التأليف.

كما اضطرب في خطته حيث انفرد في معجمه بأشياء لم توجد في كتب المتقدمين.

٣- أنه اتهم باضطراب التصنيف وفساد التصريف-كما ذكر ذلك ابن جني- .

قال السيوطي: «وقال ابن جني في الخصائص: وأما كتاب الجمهرة ففيه -أيضاً- من اضطراب التصنيف، وفساد التصريف، مما أَعذرُ واضعَه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر.

ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميعاً من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من كثرته؛ ثم إنه لما طال عليَّ أومأت إلى بعضه وضربت البتة عن بعضه».

ثم وضح السيوطي مقصود ابن جني، ودافع عن ابن دريد، بقوله: «قلت: مقصوده الفساد من حيث أبنية التصريف، وذكر المواد في غير محالها كما تقدم في العين؛ ولهذا قال: «أعذرُ واضعَه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر»

يعني أن ابن دريد قصيرُ الباع في التصريف وإن كان طويل الباع في اللغة.

وكان ابن جني في التصريف إماماً لا يشق غباره؛ فلذا قال ذلك»[1].

٤- أنه اتهم بالكذب، وصنع الألفاظ، حيث حكى السيوطي ذلك عن الأزهري ثم قال: «وقال الأزهري: ممن ألف الكتب في زماننا فرُمي بافتعال العربية وتوليد الألفاظ أبو بكر بن دريد، وقد سألت عنه إبراهيم بن محمد بن

1- المزهر ٩٣/١.

عرفة ـ يعني نفطويه ـ فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته »[1].

ثم دافع السيوطي عن ابن دريد بعد ذلك بقوله : «قلت : معاذ الله وهو بريء مما رمي به، ومن طالع الجمهرة رأى تحريه في روايته، وسأذكر منها في هذا الكتاب ما يُعرف منه ذلك، ولا يقبل فيه طعن نفطويه؛ لأنه كان بينهما منافرة عظيمة، بحيث إن ابن دريد هجاه بقوله :

لو أُنزل الوحيُ على نفطويه ... لكان ذاك الوحي سخطاً عليه
وشاعرٌ يُدعى بنصف اسمه ... مستأهل للصفع في أخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه ... وصيَّر الباقي صراخاً عليه

وهجا هو ابن دريد بقوله :

ابن دريد بقرة ... وفيه عِيٌّ وشَرَهْ
ويدّعي من حمقه ... وضعَ كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلا أنه ... قد غيَّره

وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الأقران في بعضهم لا يقدح »[2].

1ـ المزهر ١/٩٣.

2ـ المزهر ١/٩٣ـ٩٤.

المدرسة المعجمية الثانية مدرسة القافية،
ودراسة لبعض المعاجم التي تسير عليها

تمهيد:

مر الحديث عن هذه المدرسة التي تسمى مدرسة القافية، أو نظام القافية.

والحديث عنها ههنا سيكون فيما يلي[1]:

أولاً: تعريف مدرسة القافية: هو جعل الحرفِ الأخير باباً، والأولِ فصلاً على حسب حروف الهجاء.

ثانياً: عدد الأبواب: أبوابها ثمانية وعشرون، وكل باب ثمانية وعشرون فصلاً.

ثالثاً: سبب التسمية: هو نظر الواضعين لها إلى الحرف الأخير في ترتيب الفصول من كل باب.

رابعاً: سبب التأليف على هذا النحو: صعوبة البحث في المعاجم التي اتبعت نظام التقليبات بنوعيها الصوتية والأبجدية؛ فأراد أصحاب مدرسة القافية تيسير البحث عن الكلمات.

خامساً: ما سبب نظرهم إلى الحرف الأخير؟: هو أنهم رأوا أن لام الكلمة ـ وهو الحرف الأخير ـ أقل تعرضاً للتغييرات من فاء الكلمة وعينها.

1ـ انظر دراسات في المعاجم العربية ص٤٩ـ٥٠

وربما يكون هذا هو التفسير الصحيح لاتباع هذا النظام.

سادساً: أول من أنشأ هذه الطريقة: لعل أول من فكر في وضع معجم شامل بهذه الطريقة هو الجوهري رحمه الله في معجمه الصحاح.

وإذا كان بعض الباحثين يذهب إلى أنه قد سُبِق في هذا النظام بعالمين من علماء اللغة هما أبو بشر البندنيجي ت٢٨٤هـ في كتابه اللغوي (التقفية) وأبو إبراهيم إسحاق الفارابي خال الجوهري ت٣٥٠هـ في كتابه (ديوان الأدب) وذلك حين اتبعا نظام القافية، فنظرا إلى الحرف الأخير في ترتيب المواد اللغوية؛ فإن البندنيجي قد أهمل جزءاً هاماً من أسس هذه المدرسة وهو النظر إلى الحرفين: الأول والثاني، ونظر فقط إلى الحرف الأخير، كما أن كتاب التفيقه هذا وكتاب ديوان الأدب لا يعدان من المعاجم اللغوية الشاملة بالمعنى الدقيق؛ فقد اقتصرا على مواد قليلة جداً بالنظر إلى المعاجم اللغوية الأخرى.

ولذلك يمكننا القول بأن معجم الصحاح للجوهري يعد أول معجم شامل اتبع نظام القافية هذا، وإن لم يكن من المستبعد أن الجوهري قد تأثرا بهما في ترتيب المواد.

سابعاً: أشهر المعاجم التي اتبعت نظام القافية: اتبع الجوهريَّ في هذا النظام كثيرٌ من أصحاب المعاجم، من أهمهم الصَّغاني ت٦٥٠هـ في معجمه (العباب) وابن منظور ت٧١١ في معجمه (لسان العرب) والفيروزأبادي ت٨١٦هـ في معجمه (القاموس)، والزبيدي ت١٢٠٥هـ في معجمه (تاج العروس).

وفيما يلي دراسة لبعض تلك المعاجم.

المعجم الأول: تاج اللغة، وصحاح العربية

وهو المعروف بـ: (الصحاح)[1].

أولاً: صاحبه: هو أبو نصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري الفارابي المعروف بـ: الجوهري.

وأصله من فاراب إحدى بلاد الترك.

ولد سنة ٣٣٢هـ وتوفي سنة ٣٩٨هـ على الأشهر[2].

وكان الجوهري إماماً في اللغة والأدب في عصره، وكلام الرواة عنه يدل على ما كان يتمتع به هذا العالم اللغوي من علم وذكاء وفطنة.

يقول عنه ياقوت: «إنه من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة وعلماً».

وقد تلقى الجوهري علومه على كثير من علماء اللغة، ومنم خاله إبراهيم الفارابي ت٣٥٠هـ، وأبو سعيد السيرافي ت٣٦٨هـ، وأبو علي الفارسي ت٣٧٧هـ.

وقد رحل إلى الحجاز؛ رغبة في التزود من العلم، وشافَهَ خُلَّص العرب، وطوَّف ببعض القبائل العربية كـ: ربيعة ومضر.

وعاد بعد ذلك إلى خراسان، ويقال: إنه عاد إلى نيسابور، وعكف فيها على

1ـ انظر دراسات في المعاجم العربية ٥١ـ٦٥.

2ـ انظر ترجمته في يتيمة الدهر للثعالبي ٤/١٧٣ـ١٧٤، ومعجم الأدباء ٦/١٥١، ومقدمة الصحاح ١/١٧ـ١٨، ودراسات في المعاجم ص٥١ـ٦٥.

التدريس والتأليف.

وقد تتلمذ على يديه كثير من أعلام اللغة كأبي الحسين بن علي، وأبي إسحاق إبراهيم بن صالح الوراق وغيرهما.

ويذكر الرواة أنه كان شاعراً يميل في شعره إلى الحكمة، ويذكرون من ذلك قوله:

لو كان لي بدٌّ من الناس ... قطعت حبل الناس بالياس

العزُّ بالعزلة لكنه ... لا بد للناس من الناس

وقوله:

زعم المدامةَ شاربوها أنها ... تنفي الهموم وتذهب الغما

صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا ... أن السرور بها لهم تمَّا

وللجوهري مؤلفات كتب غير الصحاح، ومنها (عروض الورقة) في علم العروض، وكتاب (المقدمة) في النحو.

أما كتاب الصحاح فقد نال شهرة عظيمة ومكانة سامية بين علماء اللغة، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن عبدوس النيسابوري:

هذا كتاب الصحاح سيد ما ... صنف قبل الصحاح في الأدب

تشمل أبوابه وتجمع ما ... فُرِّق في غيره من الكتب[1]

ثانياً: اسم المعجم: الاسم الموضوع لمعجم الجوهري هو (تاج اللغة

1ـ المزهر ١/٩٨.

وصحاح العربية).

ولكنه اشتهر بعد ذلك ـ اختصاراً ـ بالصحاح.

ولكلمة الصحاح ضبطان أحدهما بكسر الصاد، والآخر بفتحها: صِحاح، وكل منهما صحيح، والكسر أشهر.

«قال أبو زكريا الخطيب التبريزي اللغوي: يقال كتاب الصِّحاح بالكسر وهو المشهور، ـ وهو جمع صحيح كظريف وظراف، ويقال: الصَّحاح بالفتح، وهو مفرد نعت كصحيح.

وقد جاء فَعال بفتح الفاء لغةً في فعيل كصحيح وصَحاح، وشحيح وشَحاح، وبريء وبَراء»[1].

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، منها طبعة الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار، وآخرها الطبعة التي حققها د. إميل يعقوب، ود. محمد نبيل طريفي، من منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، وهي طبعة جيدة، وتقع في سبع مجلدات.

ثالثاً: هدف الجوهري: ألف الجوهري معجمه الصحاح قاصداً أمرين أساسين:

أحدهما: تيسير البحث عن ألفاظ اللغة ومعانيها.

الآخر: التزام الصحيح منها.

رابعاً: منهجه: يمكن توضيح منهجه في الأمور التالية:

1ـ المزهر ١/٩٧.

فقه اللغة

١- اتبع نظام القافية؛ فجعل الحرف الأخير باباً، والأول فصلاً، كما ترك نظام التقليبات، واتبع نظام الأبجدية العادية: (أ ب ت ث ج ح... إلخ)

٢- قسم كل باب إلى فصول حسب أوائل الكلمات، فمثلاً باب الهمزة يبدؤه بفصل الهمزة ثم بما يليه من حروف حتى ينتهي إلى الياء، ثم ينتقل إلى باب الباء فيبدؤه بفصل الهمزة ثم بما يليه وهكذا...

وليس ضرورياً أن يكون لكل باب ثمانية وعشرون فصلاً، ولكن ذلك مرتبط بوجود الألفاظ المستعملة أو عدم وجودها؛ ولذلك فإن بعض الأبواب اكتمل فيها هذا العدد من الفصول، كما أن بعضها لم يكتمل.

وقد رتب كل فصل بحسب ما يليه من الحروف، أي أنه راعى الحروف المتوسطة بين الحرف الأخير الذي جعله باباً، وبين الأول الذي جعله فصلاً، فنظر إلى الثاني إذا كانت الكلمة الثلاثية، وإلى الثاني والثالث إذا كانت رباعية، وإلى الثاني والثالث والرابع إذا كانت خماسية.

٣- اقتصر على جمع الألفاظ الصحيحة.

٤- عني بالضبط عناية دقيقة؛ خوفاً من التحريف والتصحيف.

٥- وضع قواعد خاصة في ضبط الأسماء والأفعال.

٦- أكثر من القواعد النحوية والصرفية مشيراً إلى الشاذ منها.

٧- أشار إلى اللغات المختلفة في اللفظ الواحد.

٨- اعتنى بالتنبيه على المعرَّب من الألفاظ.

٩- أرجع المواد إلى أصولها، وذلك بتجريدها من الزوائد، وردِّ المقلوب إلى

أصله، وإذا كانت جمعاً أرجع إلى المفرد، وهكذا ـ كما هو صنيع جميع المعاجم.

فمثلاً كلمة (كتب) يبحث عنها في باب الباء فصل الكاف وهي متأخرة في الترتيب عن كأب، وكب، متقدمة على كثب، وكذب، وكرب، وبقيةِ مواد الفصل، وهكذا مع ملاحظة أن الجوهري قدم الواو على الهاء في ترتيبه.

أما الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف فيبحث عنها في نفس أبواب الثلاثي بملاحظة الحرف الثاني وما يليه، فالكلمة (كعثب) يبحث عنها في (كعب) وهكذا...

خامساً: مميزات الصحاح: لعل بعض تلك المميزات تبين من خلال الحديث عن منهجه، ويمكن إجمالها بما يلي:

١ـ اتباع طريقة القافية، وهي جديدة مبتكرة يسيرة.

٢ـ أن طريقته في شرح الألفاظ تفيد الباحث في بعض النظريات المتصلة بفقه اللغة مثل نظرية دوران المادة حول معنى معين؛ حيث يبيِّن في كثير من الأحيان سبب دلالة اللفظ على معنى معين يرجع إليه الكثير من الألفاظ.

وكذلك المشترك، والمتضاد وغيرهما يمكن استخراجه بيسر من معجم الصحاح، بسبب طريقته في شرح الألفاظ، وتنبيهه على ذلك أحياناً.

٣ـ اعتماده على المصادر الموثوق بها، إما مشافهة، أو من طريق المؤلفات.

٤ـ استشهاده بالقرآن، والحديث، وما روي من فصيح كلام العرب شعراً ونثراً.

٥- نسبة الأقوال إلى أصحابها في كثير من الأحيان.

٦- احتواؤه على كثير من القواعد النحوية والصرفية.

٧- اهتمامه بأسماء القبائل، والأعلام العربية.

والأمثلة على ما ذكر من المميزات كثيرة، ومن ذلك ما بينه في مادة (صحب) و(غلب) وغيرهما.

سادساً: المآخذ على الصحاح: ذكر بعض الباحثين كثيراً من المآخذ على الصحاح، ولكنها - في الواقع - تعدُّ هنات صغيرة بالنظر إلى ما في هذا المعجم من ميزات كثيرة.

ثم إن تلك المآخذ لم تؤيد إلا بأمثلة قليلة ونادرة، بل ربما لا نجد إلا مثالاً واحداً ذكروه أحياناً لبعض المآخذ.

ومما ذكروه من ذلك ما يلي[1]:

١- نسبة الأقوال إلى غير أصحابها.

٢- غلطه في ترتيب المواد.

٣- اشتماله على أخطاء نحوية، وصرفية.

٤- قلة الدقة في نقل أقوال العلماء.

٥- اضطرابه في نسبة الأحاديث النبوية إلى رواتها.

٦- خلطه بين أجزاء الأبيات من الشعر.

1- انظر المعاجم اللغوية د. إبراهيم نجا ص١١٣ فما بعدها، ومقدمة الصحاح لأحمد عبدالغفور عطار ص١٣٤.

٧- خطؤه في شرح معاني المفردات.

وهذه مآخذ قليلة وليست بمطردة، وإنما المآخذ التي ينبغي الوقوف عندها مأخذان:

١- الاقتصار على الصحيح من الألفاظ مما سبب إهمال بعض المواد الصحيحة.

وقد نبه إلى ذلك الفيروزأبادي في مقدمة معجمه القاموس.

٢- التصحيف الذي رواه عن كثير من العلماء.

وقد أفرد السيوطي في المزهر باباً سماه (ذكر ما أخذ على صاحب الصحاح من التصحيف).

وذكر ممن أخذ على الجوهري ذلك: الأزهريُّ، والتبريزيُّ، وأبو سهل الهروي، وابن بري، والفيروزأبادي، وذكر أمثلة على ذلك.

ومع ذلك فلا يسلَّم لكل واحد من هؤلاء في مآخذه؛ لأن الغلط قد يكون منهم لا من الجوهري[1].

1- انظر المزهر ٢/٣٩٠-٣٩٤.

المعجم الثاني لسان العرب[1]

أولاً: صاحبه: أبو الفضل جمال الدين عبدالله: محمد بن مكرم بن علي ابن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور الأنصاري الخزرجي الإفريقي المصري، المعروف بابن منظور.

ولد سنة ٦٣٠هـ في القاهرة وقيل في طرابلس.

وأجمع المؤرخون على أنه كان محدثاً فقيهاً عمل في ديوان الإنشاء بالقاهرة، وولي قضاء طرابلس، ثم عاد إلى مصر وبها توفي عام ٧١١هـ.

ويعد ابن منظور من كبار علماء القرنين السابع والثامن الهجريين؛ فقد كان عالماً بالنحو، واللغة، والتاريخ، والحديث، والفقه.

ويقال: إنه ترك كتباً من تأليفه أو اختصاره بلغت خمسمائة مجلد، عدا ما ينسخه من كتب الأقدمين.

وقد اختصر كثيراً من كتب الأقدمين كالأغاني، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ومفردات ابن البيطار، والعقد الفريد لابن عبدربه، وزهر الآداب للحصري.

وقد تلقى ابن منظور علومه عن ابن المقير وغيره من كبار القرن السابع الذي كان لهم فضل كبير في تعليمه.

ثانياً: هدفه من تأليف لسان العرب: يكاد ينحصر فيما يلي:

1- انظر دراسات في المعاجم العربية ص٦٦-٧٣.

فقه اللغة

١- تأليف معجم كبير يجمع كل المحاسن الموجودة في كتب اللغة.

٢- تلافي ما في المعاجم السابقة من عيوب.

٣- جمع مواد اللغة بطريقة تشجع الناس على معرفة العربية، وإتقانها والوقوف على أسرارها الجمالية.

ثالثاً: مراجعه: رجع رحمه الله إلى الكتب التالية:

١- تهذيب اللغة للأزهري ت٣٧٠هـ.

٢- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ت٤٥٨هـ.

٣- الصحاح لجوهري.

٤- حواشي ابن بري ت٥٧١هـ.

٥- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ت٩٠٦هـ.

رابعاً: منهجه: يمكن أن يوجز منهج ابن منظور في كتابه لسان العرب فيما يلي:

١- جَرَّد الكلمات من الزوائد، وأرجعها إلى أصولها شأنه في ذلك شأن جميع أصحاب المعاجم.

٢- اتبع مدرسة القافية؛ فجعل الحرف الأخير من الكلمة باباً، والأول فصلاً، شأنه بذلك شأن الجوهري إلا أنه قدم الهاء على الواو.

٣- استشهد بالقرآن، والحديث، ومأثور كلام العرب.

٤- اعتنى بلغات العرب، واهتم بالنوادر.

٥- جمع ما تفرق في المعاجم الأخرى.

خامساً: المميزات: يمكن إيجازها فيما يلي:

١ـ اتباعه لنظام القافية، وهو أيسر من نظام التقليبات ـ كما مر ـ.

٢ـ توسع في شرح المواد وما تفرع منها من ألفاظ؛ حتى يقال: إنه احتوى على ثمانين ألف مادة على حين أن الصحاح احتوى على أربعين ألفاً، والقاموس على ستين ألفاً.

٣ـ امتاز ـ كما مر ـ بالاستشهاد بالقرآن، والحديث، وما أثر من كلام العرب.

٤ـ اعتنى بنسبة الأشعار إلى أصحابها، حتى إنه لَيُعَدُّ مرجعاً مهماً في ذلك.

٥ـ اهتم بلهجات العرب، وبتوجيه القراءات.

٦ـ اهتم بذكر بعض القواعد النحوية والصرفية.

سادساً: المآخذ على لسان العرب: لا شك أن الاتساع الكبير في شرح مواد اللغة الذي لجأ إليه ابن منظور في كتابه لسان العرب قد أدى إلى وقوعه في بعض المآخذ التي يمكن إيجازها فيما يلي:

١ـ التكرار في شرح بعض الألفاظ، والتكرار في ذكر الشواهد.

٢ـ إهماله لكثير من المعاني بالرغم من رجوعه إلى كثير من المصادر.

٣ـ فاته الاستفادة من بعض المعاجم السابقة مثل معجم مقاييس اللغة.

٤ـ فاته كثير من الصِّيغ والشواهد التي ذكرت في كتاب العين، والجمهرة، والبارع، وغيرها من المعاجم.

وعلى أي حال فمعجم لسان العرب من المعاجم التي تفخر بها بالعربية، ولا يستغنى عنه بغيره.

المدرسة المعجمية الثالثة مدرسة الأبجدية العادية

تمهيد

أولاً: مفهوم الأبجدية العادية: مر بنا أن هذه المدرسة هي التي اتبع فيها أصحابها في ترتيب مواد المعجم على أساس ترتيب الألفاظ حسب الحرف الأول والثاني والثالث.

وهذه الطريقة أيسر من الطريقتين السابقتين: طريقة التقليبات، والقافية.

ثانياً: أول من وضع هذه الطريقة: هو أحمد بن فارس، وذلك في معجميه: (مجمل اللغة) و(مقاييس اللغة).

غير أنه التزم في ترتيبه الهجائي ما بعد الحرف الأول من المادة من حروف الهجاء إلى أن يبلغ الياء، ثم يعود فيذكر ما بعده من الهمزة إلى ذلك الحرف.

كما سيتوضح ذلك في منهجه في كل من هذين الكتابين.

ثالثاً: المعاجم التي سارت على هذه الطريقة: سار على هذه الطريقة كثير من أصحاب المعاجم حتى الآن، ومن ذلك:

١- ٢- مجمل اللغة، ومقاييس اللغة لابن فارس.

٣- أساس البلاغة للزمخشري ٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ.

٤- مختار الصحاح للرازي ت٦٦٦هـ.

٥- المصباح المنير للفيومي ت٧٧٢هـ.

٦ـ محيط المحيط للبستاني ت ١٨١٩ـ١٨٨٣م.

٧ـ أقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني ت ١٨٤٨ـ١٩١٢م.

٨ـ المنجد للأب لويس معلوف اليسوعي ١٨٦٧ ـ ١٩٤٦م.

٩ـ المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة.

وسيكون الحديث فيما سيأتي عن بعض تلك المعاجم.

٥٩

فقه اللغة

المعجم الأول: معجم مجمل اللغة

أولاً: صاحبه[1]: هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، والمشهور بابن فارس.

ولد في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ولم يذكر أحد من أصحاب التراجم الأقدمين تارخاً محدداً لميلاده، لكنه ـ كما ذكر بعض الباحثين المحدثين ـ يدور حول عام ٣١٢هـ.

أما وفاته فكانت سنة ٣٩٥هـ على الرأي الصحيح كما رجح ذلك العلامة عبدالسلام هارون رحمه الله وغيره.

وقد ولد بقزوين، ونشأ بهمذان، وكان أكثر مقامه في الري، لكنه رحل إلى بلاد كثيرة؛ لتلقي العلم.

وقد أخذ عن كثيرين منهم والده فارس بن زكريا، وأبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب، وأبو الحسن علي بن إبراهيم القطان، وأبو عبدالله أحمد بن طاهر المنجم، وغيرهم كثير.

أما علومه فكانت متنوعة شاملة لا سيما اللغة التي أتقنها، وأكثر من التأليف

1ـ انظر في ترجمته إلى إنباه الرواة ٢٩/٢، ونزهة الأدباء ص٢٢٩، ودمية القصر ص٢٥٧، ويتيمة الدهر ٤٠٢/٣، ومعجم الأدباء ٥٣٥/١ـ٥٤٥، ووفيات الأعيان ١١٨/١، وبغية الوعاة ٣٥٢/١، ومقدمة معجم المقاييس لـ عبدالسلام هارون ٣/١ـ٣٧، ودراسات في المعاجم العربية ص٨٣، ومقدمة كتاب الصاحبي ص٥ـ٩.

في فروعها، وشهر بها؛ ودعي بـ: اللغوي.

ويرجع ذلك إلى مؤلفاته القيمة التي كان لها أثر كبير في الدراسات اللغوية.

وكان صاحب عقلية جبارة، وموهبة فذة مبتكرة، وقد شهد له بذلك الكثير من القدامى والمحدثين، كالثعالبي، وابن خلكان، والصاحب بن عباد، وعبدالسلام هارون وغيرهم.

وكان فقيهاً شافعياً، ويناصر مذهب مالك بن أنس.

أما طريقته في النحو فطريقة الكوفيين.

وقد أحسن صنعة الشعر، وكان نقادةً فيه، وله شعره الذي ينم عن ظرف، ورقة، وحسن تأتٍّ.

وهو مُلِحٌّ في التهكم والسخرية، ومن شعره قوله:

مرت بنا هيفاءُ مقدودةٌ ... تركية تُنْمى لتركيِّ

ترنو بطرفٍ فاتن فاتر ... كأنه حُجَّةُ نحويِّ

ومن شعره قوله:

وقالوا: كيف أنت فقلت: خيرٌ ... تَقَضَّى حاجةٌ وتفوت حاجُ

إذا ازدحمت هموم القلب قلنا ... عسى يوماً يكون لها انفراج

نديمي هرتي وسرور قلبي ... دفاتُر لي ومعشوقي السراج

وهو بصير ذو خبرة بطبائع الناس، واستئثارهم بالمال، وخضوعهم له، يقول في ذلك:

إذا كنت في حاجة مُرْسِلاً ... وأنت بها كَلِفٌ مغرمُ

فأرسل حكيماً ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم

ويقول لمن يتكاسل في طِلاب العلم:

إذا كان يؤذيك حر المصيف ويُبْسُ الخريف وبردُ الشتا
ويلهيك حسنُ زمانِ الربيع فأخذك للعلم قل لي: متى؟

ولعل ابن فارس من أقدم استعمل أسلوب الشعر في تقييد مسائل اللغة والعربية.

يقول ياقوت الحموي: «قرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن عبدالرحيم السلمي: وجدت بخط ابن فارس على وجه المجمل، والأبيات له، ثم قرأتها على سعد الخير الأنصاري، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا، عن سليمان بن أيوب، عن ابن فارس:

يا دارَ سُعدى بذات الضَّال[1] من سقاكِ صوبُ حَيا من واكف العينِ

العين: سحاب ينشأ من قِبَل القبلة.

إني لأذكر أياماً بها ولنا في كل إصباح يومٍ قرَةُ العينِ

العين ههنا: عين الإنسان وغيره.

تُدني معشقةً منَّا معتَّقة تَشُجُّها عذبةٌ من نابع العين
إذا تَمَزَّزَها شيخٌ به طَرَقٌ سرت بقُوتها في الساق والعينِ

العين ههنا: عين الركبة، والطرق: ضعف الركبتين.

1ـ الضال: نبت كالسَّلَم.

فقه اللغة

والزِّقُّ ملآنُ من ماء السرور فلا تخشى تولُّهَ ما فيه من العينِ

العين ههنا: ثقب يكون في المزادة، وتولُّه الماءِ: أن يتسرب.

وغاب عُذَّالنا عنا فلا كدرٌ في عيشنا من رقيب السوء والعينِ

العين ههنا: الرقيب.

يقسِّم الودَّ فيما بيننا قِسَماً ميزانُ صدقٍ بلا بَخْسٍ ولا عينِ

العين ههنا: العين في الميزان.

وفائض المال يغنينا بحاضره فنكتفي من ثقيل الدَّين بالعينِ

العين ههنا: المال الناض»[1].

والمجمل المجتبى تغني فوائده حفاظَه عن كتاب الجيم والعينِ»[2]

وقد امتاز ابن فارس بأخلاق العلماء حقاً، فقد كان رحمه الله ورعاً تقياً شديد التواضع، وفياً لأساتذته، براً بهم، أميناً في النقل عنهم.

وكان جواداً كريماً لا يكاد يرد سائلاً، حتى إنه كان يهب ثياب جسمه، وفرش بيته.

قال ابن الأنباري: «وكان له صاحب يقال له أبو العباس أحمد بن محمد الرازي المعروف بالغضبان، وسبب تسميته بذلك أنه كان يخدمه وتصرف في بعض أموره، قال: فكنت ربما دخلت فأجد فرش البيت أو بعضه قد وهبه، فأعاتبه على ذلك، وأضجر منه؛ فيضحك من ذلك، ولا يزول عن عادته.

1ـ الدراهم والدنانير.

2ـ معجم الأدباء ١/٥٤٠ـ٥٤١.

فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئاً من البيت قد ذهب علمت أنه قد وهبه؛ فأعبس، وتظهر الكآبة في وجهي؛ فيبسطني ويقول: ما شأن الغضبان! حتى لحق بي هذا اللقب منه، وإنما كان يمازحني به»[1].

وقد تتلمذ على ابن فارس الصاحبُ بن عباد، وبديع الزمان الهمذاني، وأبو الفتح بن العميد وغيرهم.

ولابن فارس مؤلفات كثيرة تزيد على الستين، منها المجمل، والمقاييس، والصاحبي، وأصول الفقه، وأخلاق النبيﷺ، وجامع التأويل في تفسير القرآن، ونقد الشعر، وكتاب اللامات، وحلية الفقهاء وغيرها كثير.

وقد توفي - على القول الصحيح كما مر - سنة ٣٩٥هـ، وروى أكثر من ترجم له أنه قال قبل وفاته بيومين:

يا رب إن ذنوبي قد أحَطتَ بها ... علماً وبيْ وبإعلاني وإسراري

أنا الموحد لكنيْ المُقِرُّ بها ... فهب ذنوبي لتوحيدي وإقراري

ثانياً: هدف ابن فارس من تأليف المجمل: يتبين من مقدمة الكتاب أن المؤلفرحمه الله كان يهدف من وراء تأليفه إلى إخراج معجم حسن الترتيب، صغير الحجم.

ولهذا جاء كتابه هذا في أربعة أجزاء في مجلدين.

ومن طبعاته طبعة الرسالة دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن سلطان.

1- مقدمة معجم مقاييس اللغة ١/٨-٩.

ثالثاً: منهجه[1]: اتبع ابن فارس في تنظيمه لمواد المجمل، وكذلك معجم المقاييس ـ كما سيأتي ـ طريقة لم يُسبق إليها.

يقول الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله في مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة مبيناً نظام ابن فارس في معجميه المجمل والمقاييس: «جرى ابن فارس على طريقة فاذة بين مؤلفي المعاجم، في وضع معجميه: المجمل والمقاييس.

فهو لم يرتب موادهما على أوائل الحروف وتقليباتها كما صنع ابن دريد في الجمهرة، ولم يطردها على أبواب أواخر الكلمات كما ابتدع الجوهري في الصحاح، وكما فعل ابن منظور والفيروز أبادي في معجميهما، ولم يَنْسُقها على أوائل الحروف فقط كما صنع الزمخشري في أساس البلاغة، والفيومي في المصباح المنير.

ولكنه سلك طريقاً خاصاً به لم يفطن إليه أحد من العلماء، ولا نبه عليه.

وكنت قد ظننت أنه لم يلتزم نظاماً في إيراد المواد على أوائل الحروف، وأنه ساقها في أبوابها هملاً على غير نظام، ولكني بتتبع المجمل والمقاييس ألفيته يلتزم النظام الدقيق التالي:

١ـ فهو قد قسم مواد اللغة أولاً إلى كتب، تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الياء.

٢ـ ثم قسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف والمطابق،

1ـ انظر مقدمة الأستاذ عبدالسلام هارون لمعجم مقاييس اللغة ١/٤١ـ٤٤، ومقدمة زهير سلطان لمجمل اللغة، ودراسات في المعاجم ص٨٤ـ٨٩.

و**ثانيها** أبواب الثلاثي الأصول من المواد، وثالثها باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية.

٣ـ والأمر الدقيق في هذا التقسيم أن كل قسم من القسمين الأولين قد التُزم فيه ترتيب خاص، وهو ألا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذي يليه؛ ولذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة، وباب الثلاثي مما أوله همزة وباء ترتيباً طبيعياً على نسق حروف الهجاء.

ولكن في (باب الهمزة والتاء وما يثلثهما) يتوقع القارئ أن يأتي المؤلف بالمواد على هذا الترتيب: (أتب، أتل، أتم، أتن، أته، أتو، أتى)، ولكن الباء في (أتب) لا تلي التاء بل تسبقها، ولذلك أخرها في الترتيب إلى آخر الباب فجعلها بعد مادة (أتى).

وفي باب التاء من المضاعف يذكر أولاً (تخ) ثم (تر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى التاء والباء (تب) لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الخاء.

وفي أبواب الثلاثي من التاء لا يذكر أولاً التاء والهمزة وما يثلثهما، بل يؤخر هذا إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بباب التاء والجيم وما يثلثهما، ثم باب التاء والحاء وما يثلثهما، وهكذا إلى أن ينتهي من الحروف، ثم يرجع أدراجه ويستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلثهما.

وذلك لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الجيم.

وتجد ـ أيضاً ـ أن الحرف الثالث يراعى فيه هذا الترتيب، ففي باب التاء

والواو وما يثلثهما يبدأ بـ (توى) ثم (توب) ثم (توت) إلى آخره، وذلك لأن أقرب الحروف التي تلي الواو هو الياء.

وفي باب الثاء من المضاعف لا يبدأ بالثاء والهمزة ثم بالثاء والباء، بل يرجئ ذلك إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بالثاء والجيم (ثج) ثم بالثاء والراء (ثر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يستأنف الترتيب بالثاء والهمزة (ثا) ثم بالثاء والباء (ثب).

وفي أبواب الثلاثي من الثاء لا يبدأ بالثاء والهمزة وما يثلثهما ثم يعقب بالثاء والباء وما يثلثهما، بل يدع ذلك إلى أواخر الأبواب، فيبدأ بالثاء والجيم وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى الأبواب التي تركها.

وتجد ـ أيضاً ـ أن الحرف الثالث يراعى فيه الترتيب.

ففي باب الثاء واللام وما يثلثهما يكون هذا الترتيب (ثلم، ثلب، ثلث، ثلج)... إلخ.

وفي باب الجيم من المضاعف يبدأ بالجيم والحاء (جح) إلى أن تنتهي الحروف (جو) ثم ينسق بعد ذلك (جأ، جب).

وفي أبواب الثلاثي من الجيم يبدأ بباب الجيم والحاء وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يذكر باب الجيم والهمزة وما يثلثهما، ثم باب الجيم والباء، ثم الجيم والثاء، مع مراعاة الترتيب في الحرف الثالث، ففي الجيم والنون وما يثلثهما يبدأ أولاً بـ (جنه) ثم (جنى) ويعود بعد ذلك إلى (جناً، جنب، جنث) إلخ.

هذا هو الترتيب الذي التزمه ابن فارس في كتابيه (المجمل) و (المقاييس) وهو

بِدْع كما ترى»[١].

رابعاً: مميزات المجمل[٢]: امتاز المجمل بمميزات كثيرة، أبرزها أمران:

١ـ **الإجمال والاختصار:** ومن مظاهر ذلك حذف الشواهد، وقلة العناية بالمجاز، ويظهر ذلك في بعض المواد إذا قورنت بما يقابلها في المقاييس كما في مادة (بيض).

٢ـ **اقتصاره على الصحيح:** فلقد اشتهر ابن فارس بإيراده الصحيح من كلام العرب، واقتصاره عليه في كتابه (المجمل).

خامساً: المآخذ على المجمل[٣]:

١ـ **إهماله الترتيب في بعض المواد؛** فقد أتى بها مخالفة للترتيب الذي رسمه لنفسه؛ فمادة (أتر) مثلاً كان حقها أن تذكر أول مادة في باب الألف والتاء وما يثلثهما، ولكنه أخرها آخر الباب.

وكذلك مادة (أذر) أخرها وكان حقها أن تذكر أولاً.

٢ـ **الاختصار المخل:** حيث اختصر بعض المواد اختصاراً أخل بمعناها، فمثلاً مادة (أدر) لا يذكر إلا تصاريفها: أدر الرجل يأدر أدراً، وهو آدر بيِّن الأدرة.

ولا يذكر في (أقه) إلا قوله: (الأقه: الطاعة).

وفي مادة (أقر) يقول: (أقر: موضع) وهكذا...

1ـ ١/٤٢ـ٤٤.

2ـ انظر دراسات في المعاجم العربية ص٨٩ـ٩٧.

3ـ انظر دراسات في المعاجم العربية ص٩٧ـ٩٨.

وقد ذكر بعض الباحثين ـ كما يقول د. أمين فاخر ـ مآخذ على كتاب المجمل، ولكنها في الواقع مآخذ يسيرة لا تقدح فيه، ولا تقلل من قيمته بين المعاجم الأخرى، وذكر صاحب كتاب كشف الظنون أن مجد الدين الفيروزأبادي صاحب القاموس المحيط ألف كتاباً على مجمل ابن فارس أورد فيه ألف سؤال وأخذه عليه مع ثنائه وحبه.

وذكر البرهان الحلبي أن صاحب القاموس تتبع أوهام ابن فارس في المجمل مع تعظيمه له، وثنائه عليه.

معجم مقاييس اللغة لابن فارس

أولاً: تعريف بمعجم المقاييس: هذا الكتاب يكاد يكون أعظم كتب ابن فارس إلا يكن أعظمها، بل يكاد يكون أعظم معجم فيما ألف في اللغة العربية.

وهو منهج جديد في التأليف المعجمي يشبه إلى حد ما منهجه في كتاب المجمل، ولكن المقاييس يحمل أفكاراً جديدة على المعجم العربي كله، ولذلك قال عنه ياقوت الحموي رحمه الله: «كتاب جليل لم يصنف مثله»[1].

وقال عنه الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله: «فإنَّ كِتَابَنا هذا لا يختلف اثنان بعد النظر فيه أنه فذ في بابه، وأنه مفخرة من مفاخر التأليف العربي، ولا إخال لغةً في العالم ظفرت بمثل هذا الضرب من التأليف.

ولقد أضفى ابن فارس عليه من جمال العبارة وحسن الذوق، وروح الأديب، ما يبعد به عن جفوة المؤلفات اللغوية، وعنف ممارستها.

فأنت تستطيع أن تتخذ من هذا الكتاب متاعاً لك إذْ تبغي المتاع، وسنداً حين تطلب التحقق والوثوق.

والكتاب بعد كل أولئك، يضم في أعطافه وثناياه ما يَهَب القارئ ملكة التفهم لهذه اللغة الكريمة، والظهور على أسرارها»[2].

1ـ معجم الأدباء ٥٣٦/١، وانظر دراسات في المعاجم العربية ص٩٩.

2ـ مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة ٤٥/١.

وقال في موضع آخر عن الكتاب: «مفخرة من مفاخر التأليف العربي، بل يكاد يكون الفذَّ من نوعه من بين المؤلفات اللغوية في المحيط العربي، إن لم يكن المحيط اللغوي العالمي؛ فنحن لم نعلم إلى الآن أن مؤلفاً لغوياً آخر حاول أن يدرس مواد اللغة في ظل القياس المطرد في تلك المواد.

ولا غرو؛ فإن مؤلِّفَه أحمدَ بنَ فارس يعد في طليعة العلماء الذين أخذوا من كل فن بسهم وافر»[1].

ولعل من توفيق الله لابن فارس ولكتابه المقاييس أن قيض الله لتحقيقه وضبطه العلامة المحقق البحاثة عبدالسلام هارون رحمه الله؛ حيث قام بهذا العمل الجليل خير قيام، وصدَّره بمقدمة أورد فيها حياة ابن فارس، وتحدث عن سيرته وخلقه، وتلقيه العلم، وتعليمه إياه، وعن أبرز شيوخه وطلابه كما تحدث عن الجانب الأدبي، والجانب اللغوي عند ابن فارس.

كما أنه رحمه الله وازن بين كتاب المقاييس والمجمل، وتوصَّل من خلال ذلك إلى أن المقاييس من أواخر مؤلفات ابن فارس، وأن النضج اللغوي الذي يتجلى فيه من دلائل ذلك[2].

ثانياً: منهجه: بيَّن ابن فارس رحمه الله في مقدمة الكتاب منهجه الذي سار عليه في هذا الكتاب، ووضَّح بأنه منهج جديد خالف فيه أصحاب المعاجم الأخرى، وأن هذا المنهج باب من العلم جليل، وله خطر عظيم.

1- انظر مجلة مجمع اللغة العربية ١٠/١٥ من بحث معجم مقاييس اللغة للأستاذ عبدالسلام هارون.

2- انظر مقدمة المقاييس ٤١/١.

ومع ذلك صرح بأنه اعتمد في تأليفه على كثير من علماء اللغة الذين سبقوه.

قال رحمه الله: «إن للغة العرب مقاييسَ صحيحةً، وأصولاً تتفرع منها فروع، وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول.

والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم وقد صدرنا كل فصل بأصله الذي يتفرع منه مسائله، حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عما يُسْأَل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه.

وبناء الأمر في سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية، تحوي أكثر اللغة.

فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد، المسمى (كتاب العين) أخبرنا به عليٌّ بن إبراهيم القطان، فيما قرأت عليه أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعْدَاني، عن إبراهيم بن إسحاق عن بندار بن لِزَّة الأصفهاني، ومعروف بن حسان عن ليث عن الخليل.

ومنها كتاب أبي عبيد في (غريب الحديث) و (مصنف الغريب) حدثنا بهما علي بن عبدالعزيز عن أبي عبيد.

ومنها كتاب (المنطق) وأخبرني به فارس بن زكريا عن أبي نضر ابن أخت الليث بن إدريس عن الليث عن ابن السكيت.

ومنها كتاب أبي بكر بن دريد المسمى (الجمهرة) وأخبرنا به أبو بكر محمد ابن أحمد الأصفهاني وعلي بن أحمد الساويّ عن أبي بكر.

فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة، وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها، وراجع إليها؛ حتى إذا وقع الشيء النادر نصصناه إلى قائله إن شاء الله»[1].

هذا وسيأتي مزيد بيان لمنهجه في الفقرات التالية.

ثالثاً: مميزات المقاييس: تميز معجم المقاييس بميزات عظيمة، وأهم ذلك فكرتان أساسيتان اتبعهما ابن فارس في تأليفه للمعجم.

وتكاد تكون باقي المميزات ترجع إلى هاتيك الفكرتين.

الأولى: فكرة الأصول والمقاييس.

والأخرى: فكرة النحت الذي اشتهر بها رحمه الله.

وفي الفقرة الآتية تعريف بهاتين الفكرتين خصوصاً الأولى؛ لأن الثانية مر الحديث عنها مفصلاً عند الحديث عن النحت.

رابعاً: معنى الأصول والمقاييس: يقصد ابن فارس بالأصل: البناء الذي يدل على معنى عام؛ بحيث يجمع كلمات تشترك معه في الحروف الأصلية التي هي حروف المادة.

ومثال ذلك قوله في مادة: (أله): الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد؛ فالإله: الله ـ تعالى ـ، وسمي بذلك؛ لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد، قال رؤبة:

1ـ ١/٣/٥.

لله الغانيات المُدَّه[1] سبحن واسترجعن من تألهي

والإلهة: الشمس سميت بذلك؛ لأن قوماً كانوا يعبدونها.

وحين تتشابه هذه الكلمات المتفرعة عن الأصل، ويمكن إرجاعها إليه فإنه يسمى هذا التشابه قياساً.

وفكرة الأصول والمقاييس هي ما يسميه بعض اللغويين: (الاشتقاق الكبير) الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معانٍ تشترك فيها هذه المفردات[2].

ولهذا يقول رحمه الله في كتابه الصاحبي: «أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم أن للغة قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر...»[3].

وابن فارس لا يعتمد اطراد القياس، كما في مادة (جبن).

يقول: «الجيم والباء والنون: كلمات لا يقاس بعضها ببعض، فالجبن الذي يؤكل، وربما ثقلت نونه مع ضم الباء، والجبن صفة للجبان، والجبينان ما عن يمين الجبهة وشمالها، وكل واحد منهما جبين».

كما أنه يذهب إلى أن الكلماتِ الدالةَ على الأصوات وكثيراً من أسماء البلدان ليس مما يجري عليه القياس.

وقد نفعه اتباع هذا المنهج؛ فاستخدم الأصول والمقاييس في أمور كثيرة منها

1ـ المده: وهو المدح لغة فيه، وقيل: المُدَّه في نعت الهيئة والجمال والمدح في كل شيء.

2ـ انظر مقدمة معجم المقاييس ١/٣٩، ودراسات في المعاجم ص١٠١.

3ـ الصاحبي ص٣٥.

على سبيل الإيجاز ـ ويمكن القارئ الرجوع إلى الأصل إذا أراد مزيد بيان ـ ما يلي :

١ـ أنه خطَّئ شرح بعض اللغويين للكلمة؛ لأنه ليس موافقاً للقياس أو الأصل الذي بنى عليه المادة، وذلك كما في مادة (الضاد والياء والفاء).

٢ـ خطَّئ شرح بعض الفقهاء لبعض الكلمات؛ لأنه لا يوافق الأصل، ويعد ذلك من طريقة الفتيا، وليس من القياس اللغوي لهذه المادة، وذلك كما في مادة (التاء والباء والعين).

٣ـ خطَّئ تفسير بعض الكلمات المتصلة بالعقيدة؛ لما يرى فيها من جفاء يخالف ـ في نظره ـ ما أتى به الدين الإسلامي، وذلك كما في مادة (عروى) حيث يقول فيها: «عروى: أصلان صحيحان متباينان يدل أحدهما على ثبات وملازمة وغشيان، والآخر يدل على خلو ومفارقة.

ويقال: إن عروة الإسلام بقيته كقولهم: لأرض فلان عروة، أي بقية من كلأ.

وهذا عندي كلام فيه جفاء؛ لأن الإسلام ـ ولله الحمد ـ باقٍ أبداً، وإنما عرى الإسلام شرائعه التي يتمسك بها، كل شريعة عروة، قال الله ـ تعالى ـ عند ذكر الإيمان: ﴿ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا ﴾.

٤ـ استخدم هذه المقاييس في ترجيح أقوال بعض العلماء؛ حيث يرجح منها ما كان أكثر موافقة للأصل الذي أصَّله للمادة كما في مادة (على) ومادة (شن) وقد لا يرجح أحد الرأيين على الآخر إذا كان لكل منهما وجه من القياس.

ويظهر ذلك حين يذكر الكلمة في مادتين لكل منهما أصل صحيح مخالف

للآخر كما في كلمة (الشيطان) مثلاً فهو يذكر مادة (شطن) ويذكرها ـ أيضاً ـ في مادة (شيط) ويذكر لكل من الرأيين وجهاً من القياس.

٥ـ استخدم هذه المقاييس في إرجاع تفسيرات العلماء المختلفة لبعض الألفاظ من القرآن الكريم إلى أصول متعددة ذكرها للمادة الواحدة، كما في مادة (بس).

٦ـ ساعدته هذه المقاييس على توجيه بعض القراءات القرآنية كما في مادة (شعف).

٧ـ استعان بهذه الطريقة على إنكار التضاد في بعض الكلمات كما في مادة (قفى) كما استعان بها على إثبات التضاد في بعض الكلمات كما في مادة (نبه).

٨ـ يعلل التسمية ببعض الأسماء بواسطة هذه المقاييس، كما في مادة (كند) يقول: «وسميت كندة ـ فيما زعموا ـ لأنه كند أباه، أي فارقه، ولحق بأخواله، ورأسهم، فقال له أبوه: كندت».

٩ـ وقد يوضح السبب في تسمية بعض الأماكن بأسماء جامدة بما يوافق الأصل، ويقاس عليه.

يقول مثلاً في (مك): «الميم والكاف أصل صحيح يدل على انتفاء الظلم، ثم يقاس على ذلك...

ويقال: سميت مكة؛ لقلة الماء بها، كأن ماءها قد امْتَكَّ، وقيل سميت؛ لأنها تمكُّ من ظلم فيها، أي تهلكه، تقضمه كما يُمَكُّ العظم».

١٠ـ حكم على بعض الكلمات بواسطة المقاييس بالتصحيف كما في مادة (سحب).

١١- اهتدي بواسطة هذه المقاييس إلى معرفة أصل الكلمة كما في مادة(شفى)[١].

خامساً: منهجه في المواد التي ليست أصولاً يقاس عليها:

كما مر من أن ابن فارس لم يجعل لكل مواد اللغة أصلاً يقاس عليه، بل إن المواد التي لا يتفرع منها كلمات لا يجعلها أصلاً مقيساً؛ لذلك لم يجعل من الأصول ما يلي:

١- المادة التي لم يرد فيها إلا كلمة في باب الاتباع مثل (بيص) لأنها - كما يقول - اتْباع: الحيص يقال: وقع القوم في حيص بيص، أي اختلاط.

٢- ما كان أحد حروفه زائداً كما في مادة (أمع).

٣- أسماء المواضع والنباتات والأشخاص والكنايات، والألفاظ المبهمة فهذه كلها لم يجعلها أصولاً يتفرع منها شيء.

كما في مادة (قر)، و (سنن)، و (بهث)، و (بوك)، و (حيث).

٤- لم يجعل الأصوات الدالة على الحكاية من الأصول مثل (إيه).

٥- ما ليس بعربي في الأصل لا يجعله أصلاً مثل (جلق).

٦- المواد المقلوبة لم يجعلها أصولاً يقاس عليها مثل (معق) يقولون هي مقلوب (عمق).

٧- المواد المبدلة لا يعدها من الأصول مثل (سلغ) يقول أصلها (صلغ)[٢].

1- انظر دراسات في المعاجم العربية ص١٠٥-١٠٨.

2- انظر دراسات في المعاجم العربية ص١٠٨-١١٠.

سادساً: منهجه في الرباعي والخماسي: كان الحديث في الفقرات الماضية يدور حول منهجه في الثنائي والثلاثي.

أما منهجه في الرباعي والخماسي فهو أنه يُنهي كل باب في معجمه بذكر ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف.

ويقصد بذلك الرباعي والخماسي، وقد جعل لذلك باباً مستقلاً، فيقول: مثلاً عقب انتهائه من الثنائي في الباء: (باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله باء).

وهكذا باقي الحروف ما عدا حروفاً خمسة لم يذكر ما بدئ بها مما زاد على ثلاثة، ولم يفرد لها أبواباً مستقلة.

وتلك الحروف هي: الهمزة، والظاء، والميم، والواو، والياء.

وليس ذلك راجعاً إلى انه لا يوجد في العربية ذلك، وإنما السبب هو ما أشار إليه، وهو أن الاعتبار بما يجيء بعد هذه الأحرف كما في نحو (ابلندح)، و(اتلأب)، و (اتمهل)، و (اليعفور) وغيرها[1].

وكما أن لابن فارس - في كتابه المقاييس - فكرة الأصول والمقاييس في الثنائي والثلاثي - فكذلك كانت له فكرة جديدة - أيضاً - فيما زاد من الكلمات على ثلاثة أحرف، وقد وضح هذه الفكرة بقوله: «اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان، وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ.

1- انظر دراسات في المعاجم العربية ص١١٠.

والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم: حيعل الرجل إذا قال: حي على.

ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم: عبشمي، وقوله:

وتضحك مني شيخة عبشمية

فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي، فنقول: إن ذلك على ضربين: أحدهما: المنحوت الذي ذكرناه، والضرب الآخر: الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس».

ولكن المتأمل لكلام ابن فارس في هذا الموضع وفي مواضع أخرى من كتابه يجد أنه قسم الرباعي والخماسي أقساماً ثلاثة:

١- المنحوت ٢- المزيد ٣- الموضوع وضعاً على أربعة أحرف أو خمسة.

وسوف يتضح منهجه في بيان هذه الأقسام الثلاثة في الفقرات التالية.

سابعاً: طريقته في المنحوت، والمزيد، والموضوع[1]:

أ - المنحوت: كان ابن فارس أول من أرجع كثيراً من الكلمات الرباعية والخماسية إلى النحت.

وكان ذلك من منهجه في أبواب ما زاد على ثلاثة أحرف من الكلمات، وإن كان قد ذكر أن الفكرة كانت موجودة عندالخليل.

ومن أمثلة المنحوت عنده قوله (البِرَقْش) وهو طائر من كلمتين من رقشت الشيء وهو كالنقش، ومن البرش وهو اختلاف اللونين، وهكذا...

وقد مضى الحديث مفصلاً عن النحت فيما مضى.

1- انظر دراسات في المعاجم ص١١١-١١٦.

ب ـ المزيد: وليس المقصود منه المزيدَ عند علماء الصرف، بل هو في الرباعي المأخوذ من الثلاثي لكنهم يزيدون فيه حرفاً، يزيدونه للمبالغة كما يفعلون ذلك في (زرقم) يعني أزرق، وفي الخماسي: ما زيد فيه حرفان عن الثلاثي المأخوذ منه مثل: (القَلَهْذَم) وهو صفة للماء الكثير، وهذا مما زيدت فيه اللام والهاء وهو من القذم، وهو الكثرة.

ج ـ الموضوع: وهو عنده ما وضع عليه بدون زيادة أو نحت.

ولذلك جعله ابن فارس قسماً مستقلاً، ويضعه عادةً آخر الباب.

وقد يخلط في النادر بينه وبين المنحوت والمزيد.

بل إن الكلمة الواحدة قد تتردد عنده بين الاشتقاق والوضع بدون ترجيح كما في كلمة (الزمهرير).

ثامناً: خصائص معجم المقاييس[1]: مر كثير من ذلك فيما مضى، ويمكن إجماله فيما يلي:

١ـ أنه اتُّبع فيه الأبجدية العادية، وابن فارس رائد هذه المدرسة بلا نزاع.

٢ـ امتاز بفكرتي الأصول والمقاييس.

٣ـ تضمن بعض المسائل والقواعد الصرفية.

٤ـ اهتم بالاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف.

٥ـ اهتم بالشواهد الشعرية.

٦ـ أثبت شخصيته في كثير من الأحيان، فهو ـ وإن كان ينقل عن الخليل وابن

1ـ انظر دراسات في المعاجم العربية ص١١٦ـ١٢٠

دريد وغيرهما ـ يناقشهم، ويخالفهم أحياناً، أو يرجح كلامهم على غيره.

٧ـ احتوى المعجم على ترجيح بعض القراءات.

٨ـ أشار إلى بعض لهجات العرب.

٩ـ الميل إلى الاختصار.

تاسعاً: المآخذ على المعجم: على الرغم من الدقة التي امتاز بها كتاب المقاييس عن غيره من المعاجم اللغوية الأخرى فقد تعرض لبعض المآخذ التي يمكن إجمالها فيما يلي:

١ـ الاختصار الشديد في بعض الأحيان مما أدى إلى ترك إكمال الحديث النبوي، والبيت الشعري، حيث يقتصر على ذكر موضع الشاهد فحسب.

٢ـ لم يسر على نظام ثابت في رسم المعتل، كما في (حنو) و (عصوى) و(رثى).

٣ـ لم يسر على طريقة واحدة فيما عده خارجاً عن الأصول، فقد أخرج ـمثلاًـ حكاية الأصوات في كثير من المواد، لكنه جعله في بعض المواد أصلاً كما في مادة (بل).

٤ـ ولُوعه بالقلب والإبدال ولوعاً قد يصل إلى التعسف، وقد يجمع بينهما في كلمة واحدة كما في (قاب).

٥ـ الاضطراب في شرحه لبعض الألفاظ، ومن ذلك أن قد يفسر كُلاً من الضدين بأنه خلاف الآخر كما في (خبث) و (طيب) وكما في (حسن) و (قبح) وكذا في (حمد) و (ذم).